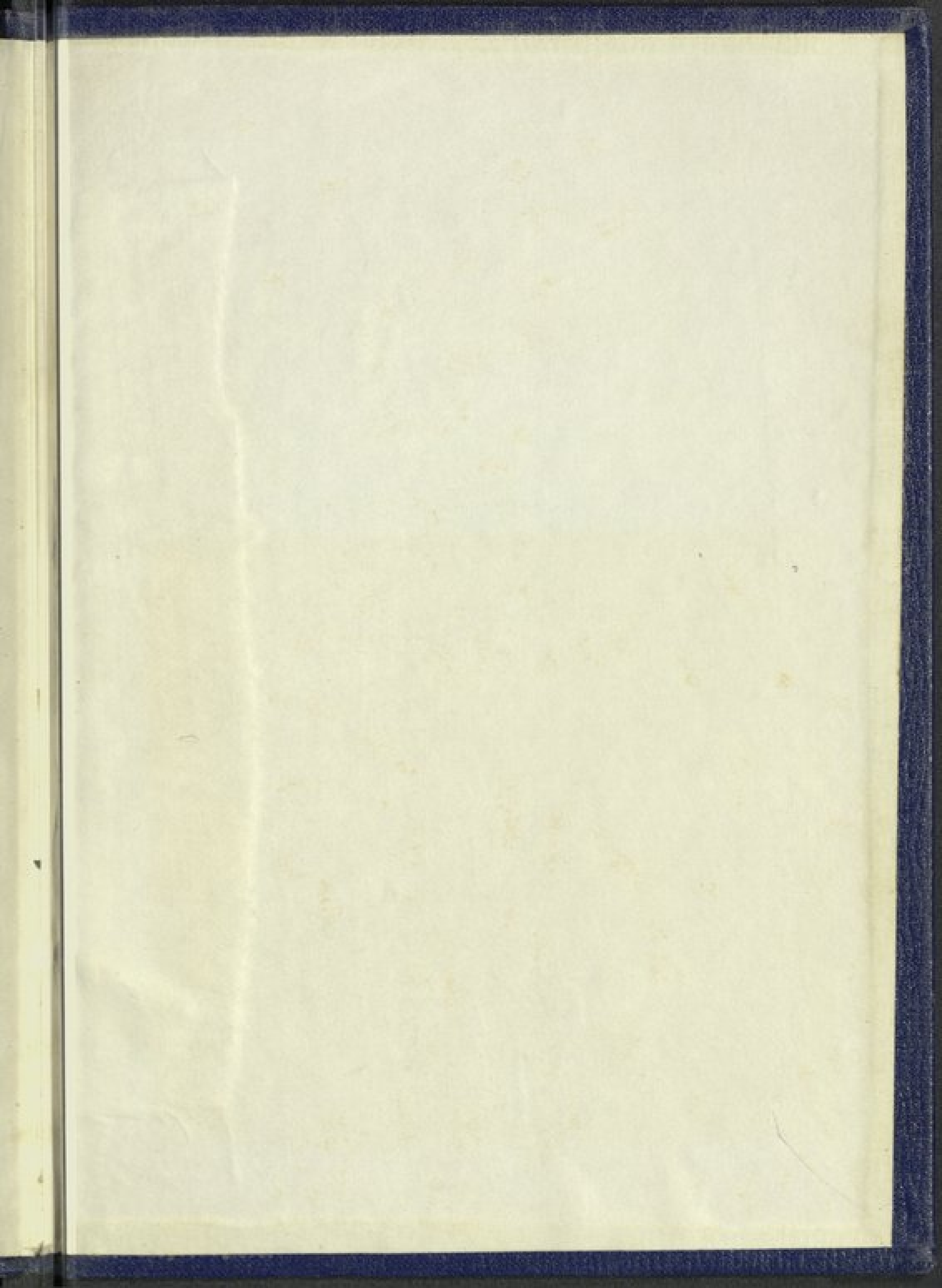
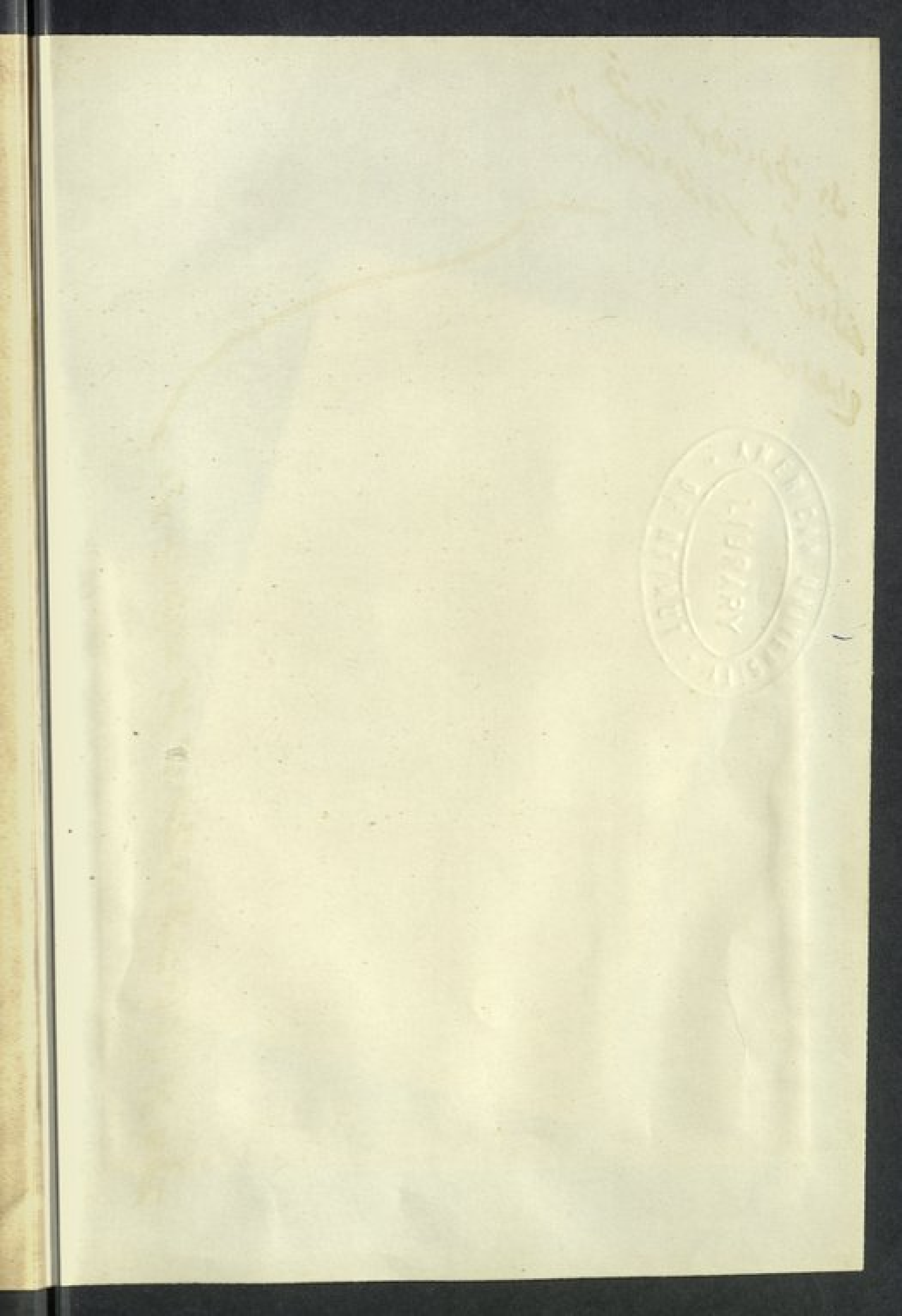
المداح

سياسة لا وجدان





سياسة لا وجدان

بحث

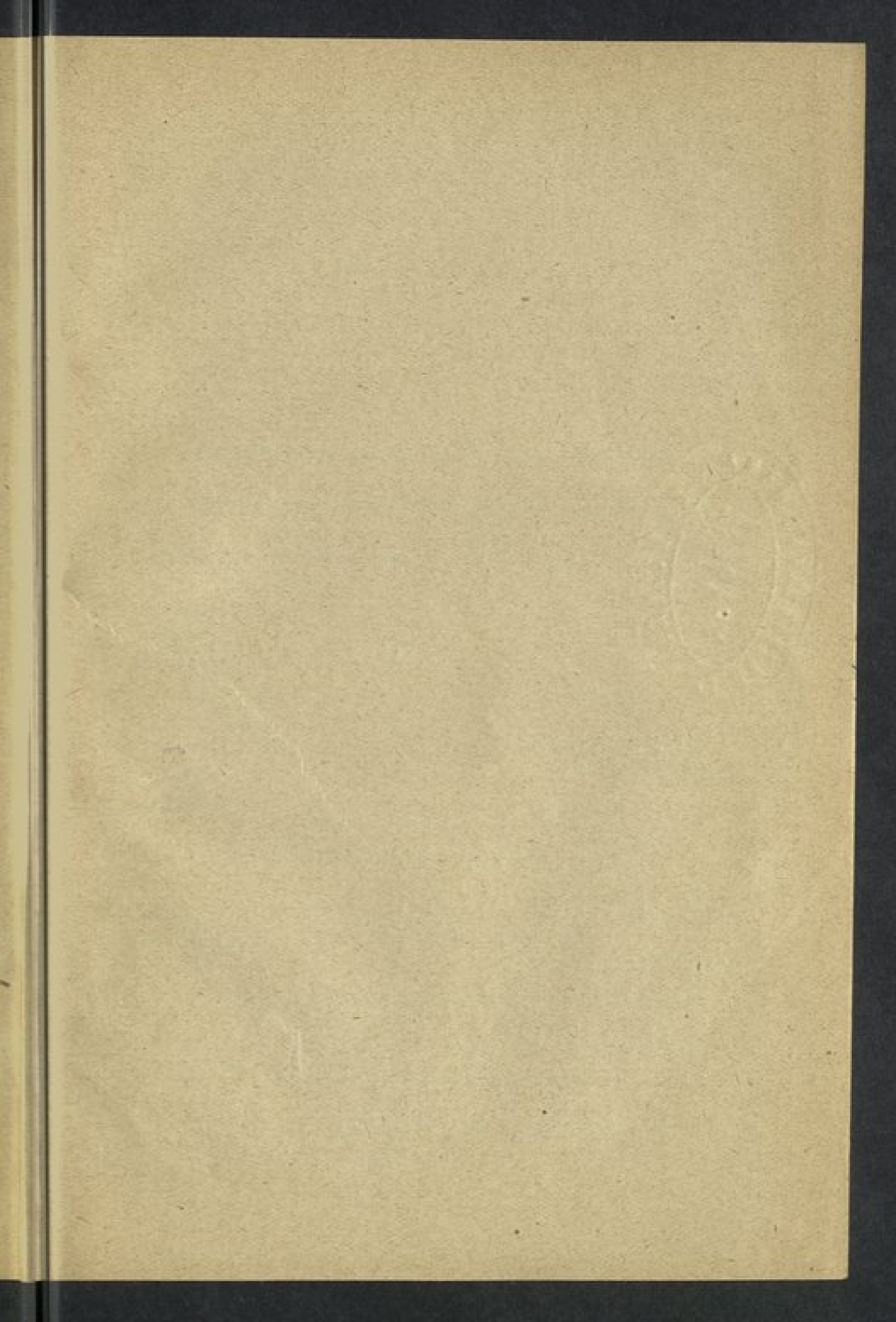
في استقلال لبنان الكبير

بقلم

الشيخ ادوار الدحداح

اضرار تقسيم الوطن السوري الى دويلات مستقلة
فوائد الاتحاد اللامركزي (فدراسيون)
استقلال لبنان الكبير عن سوريا مفتعل
استقلال لبنان الكبير والاعتماد على فرنسا
لبنان الكبير والوطن القومي المسيحي
خطر نظرية الوطن القومي المسيحي على اللبنانيين
الوطن القومي المسيحي والخطر الارمني
سكان لبنان الكبير بعد خمسين سنة
لبنان الكبير مدعاة للتفرقة الداغة
مصلحة فرنسا في الوحدة السورية

١٩٢٦ * مطبعة وزنكوغراف طباره * بيروت



مقدمة الكتاب

اصارح القراء الكرام بانني لم اخترع البارود . وهذا مثل يقال لمن يأتي امراً مسبوقاً اليه

اجل ان انصار التفاهم الذي ادعو اليه في كتابي هذا اكثر من ان يحصرهم عد ودعاة اتحاد لبنان مع سوريا ما فتئوا ينشرون الدعوة الى ذلك منذ ظهرت فكرة لبنان الكبير الى عالم الوجود واخصهم بالذكر اركان الحزب الديمقراطي وحزب الاصلاح وغيرهما من الافراد والجماعات غير ان تلك الاحزاب وهؤلاء الدعاة اصطدموا بمعارضات شديدة من جراء عوامل متنوعة فسكتوا وبقي في نفوسهم شيء من ذلك الاتحاد المنشود لخير الوطن السوري الاعظم

وهكذا حتى نامت تلك القضية بدون ان تنام الاحقاد التي نشبت في الصدور بين انصار الوحدة السورية وانصار لبنان الكبير المستقل تام الاستقلال عن سوريا فانقسمت البلاد الى معسكرين واضحين فتنظمت صفوف الوحديين من جهة وصفوف الانفصاليين من جهة ثانية وشاءت اعتبارات دينية – لسوء الحظ – ان اصبح المسلمون بدون استثناء وحديين واصبح النصارى بدون استثناء انفصاليين ومن لم يكن من الفريقين على هذا الرأي عن عقيدة كان عن مسايرة لمجموعه حتى بات كل فريق على حذر من نيات الاخر الى ان وقعت الثورة فخرجت الاحقاد من مكامنها وقام الجار يكيد لجاره ، والاخ يبطش بأخيه ، وبينا الامور تسير سيراً مضرجاً بدماء الاخوان لا تلاقي بعده هالتني هذه الهوة العميقة التي نحفرها بعضنا لبعض فرفعت صوتي مجازفاً ادعو ابناء الوطن الواحد الى التسامح وتسوية الخلاف تسوية

تصون حقوق انصار الوحدة وانصار الانفصال على السواء. فتمثلت لهم الاتحاد السوري اللبناني على اساس « الفديراسيون » كما هي الحال في الدول الاوروبية التي هي من هذا النوع. وعبرت عن هذا الشكل الحكومي اصطلاحاً بكلمة الاتحاد اللامركزي

ولما كنت قبل هذا النداء من اللبنانيين المعروفين بلبنانيتهم المقيمين على مبدإ لبنان المستقل عن سوريا ايقنت بان ابناء وطني على اختلاف اديانهم ومشاربهم يحملون ندائي على محمل الاخلاص المجرد فقمت ابين لهم الاسباب التي جعلتني اعدل عن عقيدتي اللبنانية فنشرت في جريدة الاحرار لصاحبها جبران افندي تويني مقالات ثلاث جمعت فيها شيئاً من النظريات التي يجب ان لا تغرب عن بال احد من ابناء هذه البلاد

فحل ندائي على النفوس المعذبة من جراء هذا التقاطع والتباغض بين ابناء الوطن الواحد برداً وسلاماً والتفت حوله القلوب الصادقة من كل طائفة وملة ولا سيما قلوب الاخوان المسلمين فشملوا هذا النداء بعطفهم واكبروا صدوره عن لبناني ماروني لما سرى اليهم بعد ذلك التقاطع والتباغض انه لا يوجد بين المسيحيين واخصهم المارونيين من يدرك حقيقة الحال فيعمل على تلافيها بما يضمن مصلحة الوطن ومصلحة الجميع

بيد ان هذا الماروني قد كنته بل اننا كنا اثنين بدلاً من واحد فقد وجدت الى جنبي منذ بدء تصميمي على الجهر بهذه الفكرة السلمية وطنياً آخر يشعر شعوري ويشاركني لوعتي على هذا التقاطع والتباغض الذي نسبح فيه واعني بهذا الرفيق صديقي الوفي الشيخ عزيز الهاشم سليل احد العائلات اللبنانية الكبرى ومستنطق بيروت حالياً وانني اذكره في هذا المقام تنويهاً بوطنيته واعترافاً بفضله . فقد كان لي بقدر ما تسمح الوظيفة رفيقاً في دعوتي

ومنشطا لي على مقاومة العقبات

أجل ان الشجاعة الادبية تهون عندها شجاعة السيف والنار في احوال كثيرة وقد يفهم ذلك من قام مثلي يقاوم تيار طائفة كاملة في فكرة لها رسخت رسوخ عقيدة دينية . هذا وبينا كنت اقوم بالمدافعة عن نظريتي تجاه الرأي العام المسيحي واكتسب منهم الانصار الواحد بعد الاخر لتأليف كتلة مسيحية معتبرة تشاركني في نزع رداء الاوهام وغرور الدولة اللبنانية الكبرى كان ذلك الصديق يدافع عن ذات النظرية تجاه ولاة الامور لمكانة له عند حضرة المسيو جان ماليا احد اركان رجال المفوضية العليا ومراقب انظمة البلاد الاساسيه فاسترعى اليه الاذان واستمال المسيو جان ماليا الى مناصرة هذه القضية الشريفة التي تتفق مع مصلحة سوريا ولبنان والانتداب كما سأبين ذلك للقراء بالحجة والبرهان (١)

بيروت في ٤ شباط سنة ١٩٢٦

ادوار الدحداح

---

(١) فرغت من وضع هذه المقدمة لخمسة شهور مضت قبل تسليم هذا الكتاب للطبع وقد حدث بعد كتابتها امور جديرة بالذكر منها انه كان ما كان من تصريحات المسيو جان ماليا في بكركي وافساد تلك التصريحات عليه بحملات منكرة ومغادرته على اثر ذلك البلاد الى باريس وان انصار الاتحاد مع سوريا من اللبنانيين المسيحيين قد زاد عددهم زيادة لا يستهان بها ولولا ممانعة تبديها الحكومة اللبنانية المحلية للترخيص لهؤلاء الكرام بتأليف الاحزاب الموءدية لهذه الغاية لكانت حالة لبنان الكبير غير ما هي اليوم . وبهذه المناسبة اعلن للقراء اني فرغت من وضع هذا الكتاب في منتصف شهر شباط سنة ١٩٢٦ غير ان المراقبة على الصحف والكتب اقعدتني عن تقديمه للطبع مخافة ان يذهب مقص المراقبة ببعض ما جاء فيه لاعتبارات ما في حين اني سلكت في كل ما كتبت مسلك الاعتدال والصدق والاخلاص

سياسة لا وجدان

بحث

في استقلال لبنان الكبير

الفصل الاول

مَثلي و مَثل ملك في الحرب

روي ان احد الملوك الاقدمين ممن لم يحضرني اسمه كان له ولد أخرس . فاتفق مرة ان الملك خاض غمار الحرب وكان ولده يرافقه . فلما احتدم القتال اندفع الملك الى وسط المعمعة حتى احاط به الاعداء من كل جانب . وبينا هو يدفع عنهُ الواحد إثر الآخر تمكن احدهم ان يأتيه من الوراء خلسة شاهراً السيف ليضربه . فابصر به الولد وخاف على ابيهِ ان يبطش بهِ ذلك الرجل على حين غرة فارتعد خوفاً وسرت في جسمه هزة عجيبة لا يبررها غير الحنو انعظيم فانطلق لسانه بغتة وصاح :

— ابي ! وراءك

وانه بينا وقعت الحرب المادية والادبية بين لبنان وسوريا طارت نفسي شعاعاً اذ ابصرت السوريين يجتاحون لبنان بالسيف والنار وراء حق لهم عنده وابصرت اللبنانيين يقابلون الصدمة بمثلها ليحتفظوا بما ظنوه امراً راهناً ، اشفقت على هذا الوطن يمزقه الطيش ، وتفرقه العداوة ، تفرقة دموية فيها البلاء كل البلاء للسوريين و للبنانيين على السواء ، فسرى فيَّ من فوق هذه الضغائن القتالة نور الى الهداية لا يبرره غير خوفي من سواء المصير ومن ضربة تأتينا من الوراء فانطلق لساني وصحت على الرغم مما في ذلك من مجازفة وتكدير خواطر :

— لبنان ! سوريا ! وراءكما .

لذلك قلت في مقالة اولى نشرتها جريدة الاحرار في ٢٣ كانون الاول سنة ١٩٢٥ ما يأتي

***

دعوة الى الاتحاد اللامركزي

في البلاد اليوم حركة مباركة يرمي انصارها الى تحطيم الحواجز السياسية التي فرقت شمل الوطن الواحد الى دويلات كان من شأنها اضعاف مقدرة الانتاج الوطني السياسي والاجتماعي والاقتصادي والزراعي والتجاري وهي بمثابة تسوية ترضي طلاب الوحدة من اية منطقة كانوا وطلاب الانفصال لبنانيين كانوا ام حلبيين ام علويين وقد اثرت هذه الحركة فانضم اليها فريق من مفكري اللبنانيين ونعني بها انشاء اللامركزية السورية اوبعبارة اوضح انشاء الاتحاد السوري على ما هو جار في سويسرا مثلاً او في المانيا او في الولايات المتحدة الاميركية

ان هذه البلدان التي ذكرناها وان كانت في مجموعها دولة واحدة فهي مقسمة فيما بينها الى مقاطعات بل دول – تفوق سوريا بمجموعها – كل واحدة حريصة على كيانها وحيثيتها وقد دلت هذه الاختبارات ان هذا الشكل الحكومي هو من انسب ما يحلم به قوم لاسعاد بلادهم في مجموعها فانه فضلاً عن انه يترك لكل مقاطعة او دولة حرية التصرف بما تراه خيراً لها فانها تتبادل الرأي مع جارتها في ما يتعلق بالمصلحة العامة سواء من الوجهة الاقتصادية او التجارية او السياسية

وعلاوة على ذلك فان الاتحاد الدولي يخفف من الضرائب بالتخفيف من تضخم الادارات فيما لو بقيت كل دويلة مستقلة بذاتها[1] ويجمع شمل ابناء الوطن الواحد تحت راية واحدة وقيادة واحدة ويفتح مجال العمل مادياً ام ادبياً كان واسعاً في وجه كل طالب بدون تفاوت او تفضيل فالعلوي مثلاً او الحلبي او اللبناني لا يستطيع ان يكون صحافياً ام محامياً ام قاضياً امتاذاً ام وزيراً ام حاكماً الا في منطقته الضيقة ودولة وضيعة قد يصير كل ذلك في الدولة السورية الواحدة مع الاحتفاظ اذا اراد بصبغته وحكومته المحلية علوية كانت ام لبنانية ام دمشقية أم درزية الى غير ذلك من الجنسيات التي انشئت في قلب سوريا فقتلتها سياسياً واقتصادياً وعلمياً وخلقت في النفوس تشاحناً وتباغضاً قد يهون امرهما لو اقتصرا على ابناء جنسية وجنسية مجاورة لها ولكنهما قد تجاوزا الى تمزيق شمل الجنسية الواحدة فأخذ الجار يكيد

(١) ان دافعي الضرائب اليوم الموجعين يفهمون هذه الحقيقة التي تجلت لهم في الايام الاخيرة بأجلى مظاهرها وفضلاً عن هذه النفقات الطائلة فان مظاهر هذه الدويلات المستقلة تعيد الى ذكرهم قول القائل :

والقاب مملكة في غير موضعها ... كالهر يحكي انتفاخاً صورة الاسد

لجاره بدلاً من ان ينصرف الى منفعته ومنفعة البلاد العامة

ان هذه الحال التي نحن فيها غير طبيعية ولا يمكن ان تدوم الا على اساس مخيف من التباغض واثارة نار الاحقاد ناهيك عن الاضرار الجسيمة التي تصيب البلاد وابناءها

لذلك فان فكرة ايجاد التسوية المذكورة ما ظهرت الى عالم الوجود حتى اعتنقها متنورو البلاد على اختلاف اديانهم وطوائفهم ولا نخال امرىء يرفضها اذا كان صافي السريرة حسن النية ويسرنا ما نراه من روح الاتفاق السائدة بين المتفاهمين لاحقاق هذه الفكرة القومية واننا في هذه الفرصة السانحة نسأل ولاة الامور ان يشملوها بعطفهم وننشد اصحاب الرأي ان ينظروا اليها على اختلاف طوائفهم بالعين المجردة ويجدر بالذين أخذوا على عاتقهم وضع أنظمة البلاد الاساسية أن يدرسوا هذا الرأي فيما بينهم وأن يتبادلوه مع ممثلي كل دولة من الدول السورية على حدة لعلهم يتوصلون قبل أن يضعوا النظام النهائي الى نظام اتحادي عام يضمن حقوق الجميع على السواء في ظلال الدولة الكبرى ولا شك انهم فاعلون وما شاور احد وندم



الفصل الثاني

يتضمن هذا الفصل المقالة الثانية التي نشرتها جريدة الاحرار في ٣١ كانون الاول سنة ١٩٢٥ وفيها اتيت على تفصيل الشكل اللامركزي للاتحاد قلت :

كان للكلمة التي ارسلتها على صفحات الاحرار بطلب تكوين اتحاد سوري بين الدول الواقعة تحت الانتداب الفرنسي ، على اساس اللامركزية على مثال ما هو جار في سويسرا او المانيا او الولايات المتحدة الاميركية صدى تجاوز الى جميع الدوائر والاندية وتناقلته الالسنة وذهبت فيه مذاهب . غير انه مما هو جدير بالسرور ان الرأي العام الراقي على اختلاف اديانه وطوائفه عطف على هذه الفكرة عطفاً جدياً وسألنا ان نزيد القراء تفصيلاً فنقول :

لماذا تألفت الحكومات اللامركزية

ان حكومات الاتحاد اللامركزي ما تألفت في اصلها الا لاسباب هي ذات الاسباب التي تدعونا نحن ابناء هذه البلاد الى التمسك كل منا بحيثيته وكيانه . فقد كان ابناء تلك الحكومات حريصين على منطقتهم ، غيورين على حريتهم ، محافظين في سبيل مذهبهم الديني ، شأننا واكثر في البلاد الواقعة تحت الانتداب الافرنسي .

فتناظروا وتباعدوا وتنافروا وتحاربوا ، وقضوا ردحاً طويلاً من الزمن يكيدون لبعضهم بعضاً ، حتى ادركوا اخيراً انهم شراً يحصدون ، وان الحياة الحقيقية في التفاهم والاتحاد فانضموا اضطراراً الى اتحاد لامركزي

فتقته الحاجة في اول امره وما لبث حتى صار مذهباً يذهبون اليه ، وديناً يدينون به ولا يرضون عنه بديلا

والامثلة على ما تقدم عديدة ، منها ما جرى لبافاريا وبروسيا في المانيا فان هاتين المملكتين الالمانيتين كانتا الاولى كاثوليكية والثانية بروتستانية وهما يتباغضان ويتقاتلان وكلنا يعلم ما كان من الحزازات والتقطيع بين الكاثوليكيين والبروتستانت ، وفضلاً عن ذلك كانت روح الانانية تسود هاتين المملكتين وتركيها النعرة الطائفية ، حتى جاء بسمرك فجمع بيده الحديدية ودهائه الوحدات الالمانية ، وكوّن منها الدولة الالمانية العظمى بشكل اتحادي ، توفيقاً للعناصر المختلفة والمشارب المتباينة . فتجمعت تلك الوحدات حتى ان السيف الذي جمع بينها بالامس لا يقدر اليوم على فصلها بعضاً عن بعض وما اخفاق الحلفاء في تجزئة المانيا على الرغم مما اوتوا من قوة ، خير دليل ساطع على فوائد هذا الاتحاد اللامركزي عند الذين رتعوا فيه وجنوا من ثماره .

حتى ان الدول ذات الكتلة الواحدة كبريطانيا العظمى ادركوا محاسن النظام اللامركزي . فقاموا يطالبون به . واهم انصاره في بريطانيا العظمى اليوم سكان اسكوتلاندا وسكان ايرلندا ، ولا بد لهم من ان يتوصلوا يوماً الى ما يطلبون . واي شيء ادعى الى الرغبة من ان يكون المرء حراً في بلاده ، مرتبطاً بمجموعه بشعب اكبر ومملكة اعظم ! . . .

ان النظام الاتحادي اللامركزي هو اشبه شيء بعائلة مؤلفة من الاحفاد والاعمام والخؤولة . كل يعيش في بيته على هواه ، ينفخ ويطبخ ما يريد وساعة يريد ، ويدبر عيشته الداخلية كما يشاء . ثم يمتون في منتهى الامر الى بعضهم بعضاً بروابط القربى فيتزاورون ويتفاهمون ويقررون معاً مصلحة العائلة العامة

مثال اتحاد لبنان الكبير مع سوريا

وما هو الا ان نطبق ما يجرى في بلد من البلدان اللامركزية في العالم على حالة لبنان الكبير اليوم مثلا حتى ندرك ان ما قدمناه هو الصواب بعينه وان المثل الذى اوردناه حقيقة ناصعة . فلو اخذنا مثلاً مقاطعة من مقاطعات الولايات المتحدة الاميركية لتبين لنا انها تتمتع من دواعي الحرية بما يتمتع به لبنان الكبير اليوم ، وعليه ان لبنان الكبير لا يخسر شيئاً من الحقوق التي اكتسبها حتى الساعة، انما يكسب بان يكون له رأي وحيثية ومكانة عند جيرانه بواسطة المجلس الاعلى للاتحاد الذي يشركه في المسائل العامة

اقتضى علينا الان ان نبين كيفية ذلك لنطلع القارىء على ما يبقى في يد لبنان الكبير وما يفقده فيما لو تم الاتحاد اللامركزى المنشود . فان لبنان الكبير يبقى له حاكمه العام وهو صاحب السلطة التنفيذيه فيشترك مع المجلس النيابي المحلي باعداد جميع القوانين المحلية ويحضر الميزانية وينفذها وينشر القوانين ويعلنها ويعين المأمورين ويعزلهم ويراقب سير الادارة في جميع انحاء الدولة . وهذا الحاكم يعينه مجلس الاتحاد الاعلى مأخوذاً اسمه عن لائحة المرشحين الذين يرشحهم المجلس النيابي المحلى ويكون اختياره امامن بين اعضاء المجلس واما من خارجه . اما المجلس النيابي المحلي فلهُ صلاحية واسعة في امور الدولة فهو الذي يتناقش في الميزانية الداخلية ويصادق عليها او يرفضها وهو الذي يعين ويحدد جميع الضرائب المقررة وهي الضرائب العادية ويعد القوانين ويتناقش فيها ويراقب التدريس الثانوي ويسهر على الامن العام وينظم البوليس

والجندرمه وينشىء السجون والملاجي. ويفتح الطرقات . وقصارى القول له كل الصلاحية الواسعة في كل ما تقدم وفي كل ما هو خارج عن اختصاص مجلس الاتحاد الاعلى

اما مجلس الاتحاد الاعلى فلا يهتم الا بالمسائل التي تتعلق بامور الدولة العامة . منها الميزانية العمومية التي تتناول ادارة الجمارك وارداتها والبوسطة والتلغراف والسكك الحديدية والضرائب الغير مقررة ، وهي التي يفرضها الاتحاد على جميع اجزاء الدولة لاسباب خصوصية منها سد العجز في الميزانية العامة والايرادات التي تعود من منح الامتيازات والحربية والبحرية (ان شاء الله) والعدلية والتدريس العالي والحريات الشخصية كحرية الصحافة والكتابة والدين والمعتقد والاجتماع وصيانة الحقوق الملكية والاختراعات .

وهذا المجلس الاعلى الذي تنتخبه مجالس الدول الداخلة في الاتحاد وهو الذي يشرف على ادارة الاتحاد ويقيد سلطة رئيس الاتحاد ملكاً كان ام رئيس جمهوريه ويجعل الوزراء الذين يختارهم الرئيس مسئولين امامه في ادارة وزاراتهم

فهل بعد ذلك من يقول ان الدول الواقعة تحت الانتداب الفرنسوي تتمتع باكثر مما يعطيها نظام الاتحاد اللامركزي من الحقوق ؟ او من يقول ان نظام الاتحاد لا يتفق مع السيادة القومية المحلية ومع الاحتفاظ بكيان الدول التي تدخل الاتحاد ؟ وهل يستطيع ان يقول لي قائل ما الذي يمكن ان يخشاه لبنان الكبير المتحد مع سوريا ؟ . .

***

الفصل الثالث

يتضمن المقالة الثالثة التي نشرتها جريدة الاحرار في ٢ شباط سنة ١٩٢٦ وفيها بحث مستفيض عن استقلال لبنان الكبير وحقيقة هذا الاستقلال وهي:

. . . .

اجفل كثيرون من غلاة اللبنانيين من دعوتي الى ايجاد اتحاد بين الدول الواقعة تحت الانتداب الافرنسي على أساس « الفدراسيون » بما فيها دولة لبنان الكبير ، وهالهم ان يقوم لبناني فينتقض على استقلال لبنان الكبير بعد ان تم لهم هذا الاستقلال وطالما تاقوا اليه وسعوا وراء تحقيقه .

غير انهُ قد فاتهم انهم اتخذوا الوهم مكان الحقيقة وظنوا انهم يتمتعون في الواقع باستقلال راهن قد يصير يوماً استقلالاً تاماً ناجزاً ضمن الحدود المرسومة لهم حالياً في حين ان بناية الاستقلال التي شيدوها للبنان الكبير في حدوده الحاضرة لا ترتكز على اساس ثابت وهي أشبه شيء بالقصور التى تبنيها الصبية باوراق اللعب فلا تهب عليها نفحة النسيم حتى تنهار الى الحضيض أثراً بعد عين كما سيجيء في هذه العجالة

ان هذه الحقيقة التي تمثلت لي باجلي مظاهرها جعلتني افيق من عالم الخيال الذي سبحنا فيه معشر اللبنانيين وادعو ابناء بلادي الى امر يتدبرون فيه نفوسهم لعلهم يعقلون ويبصرون معي النار المخيفة التي تتأجج وراء ظهورهم وهم لاهون عنها بغشاوة تحت تأثير عاطفة ساذجة وما كانت العاطفة يوماً اساساً يصح الاعتماد عليه في الامور السياسية وادارة الشعوب

لقد حان لنا ان نعمل الروية ونحكم العقل في مصيرنا لعلنا نهتدي الى ما فيه مصلحتنا ومصلحة البلاد ، فمن ذلك اننا لو بحثنا في هذا الاستقلال وفي دعائمه وفي ضمانته لتبين لنا اننا لسنا على شيء مما تتمتع به الشعوب المستقلة

شروط الاستقلال

ان الشعوب توطد حدودها وتنال عادة استقلالها على الوجوه الآتية منفردة او مجتمعة وهي

ا — اما ان يكون لها الاستقلال عنوة واقتداراً فتأخذه اخذ جبار شأن الولايات المتحدة التي تحررت من ربقة الانكليز مثلاً

ب — واما ان يعطى لها ثم تتكفل هي بصيانته وصيانة حدوده اما بقواتها الخاصة واما بمصلحة دولية تقضي بصيانة هذا الاستقلال لمنفعة الدولة او الدول التي تصونه . وهذه المنفعة تكون على وجوه فمنها ما هو لحفظ التوازن الدولي في بقعة من البقاع او لعدم اتفاق الدول على تقسيم الفريسة شأن ما جرى لتركيا المريضة ومنها ما هو لايجاد حاجز يفصل الدول العظمى بعضها عن بعض يكون بمثابة منطقة حياد او حرام شأن سويسرا التي تفصل بين المانيا وفرنسا وايطاليا وشأن بلجكا ايضاً وغيرهما

ت — واما لعدم اكتراث الدول المجاورة لاستقلال شعوب لا ينجم عن استقلالها اي ضرر اقتصادي او مادي او سياسي لتلك الدول وغالباً ما تكون هذه الدول الصغيرة مستقلة في الظاهر متأثرة في الداخل بارادة الدول الكبرى المجاورة لها كجمهورية سان ماران في ايطاليا وسكانها يبلغون خمسة عشر الف نسمة او امارة موناكو وسكانها يبلغون زهاء عشرين الف ساكن

وغيرهما كدوقية لوكسمبورغ

وعلى كل فلا بد من شرط اساسي جوهري يجب ان تتقدم تلك الشروط وهو رضاء تلك الشعوب عن استقلالها ورغبتها في التمسك به لان الاستقلال لا يعطي لمن لا يريدونه والحدود لا تصان لمن يعمل على هدمها بكل قواه!

فلبنان الكبير والحالة هذه لا يتمتع بشرط واحد من الشروط التي تقدمت ومهما اعملنا الفكر والروية فلا نجد حجة واحدة يرتاح اليها العقل فاول شيء انه لم ينل استقلاله بالقوة والاقتدار انما جاءه منحة عن طريق تصريح اعلنه فخامة المفوض السامي لاعتبار من الاعتبارات قد يزول يوماً — ان لم يكن عاجلاً فآجلاً — باعتبار آخر ومن يدرينا ان السياسة — والسياسة بلا رحمة — التي حشرت بيننا نصف سكان هذه الدولة على الرغم منهم لا تتطور يوماً فتحشرنا في سوانا على الرغم منا؟ ...

ان استقلالاً هذه دعائمه وضمانته ، يعطي وينزع ، بتصريح ، بدون ان يكون لنا شأن يذكر في اخذه او قوة خاصة بنا لصيانته ، او حدود تتفق مع عددنا وقدرتنا لهو استقلال مفتعل لا يجوز ان يعتمد عليه عاقل

ثم لو ذهبنا الى ابعد من ذلك وفرضنا ان ذلك التصريح ثابت لا يتزعزع فاين هي قوتنا لنصون بها استقلالنا وحدودنا الكبيرة فاذا اعتمدنا على قوة فرنسا لحمايتنا فان هذه الحماية تكون بحكم الطبع موقتة كما سيجيء الكلام عنها واذا قلنا لنا اسوة بجمهورية سان ماران وامارات موناكو ولكسمبورغ فنكون قد اخطأنا وجه الشبه لان هذه الدول الصغيرة لا تعيش بسلام الا لانها لا تضر ولا تنفع فهي اشبه شيء بنقطة صغيرة في بحر دول عظمى

ابقى علينا كأثر تذكاري ! !

فهل نحن كذلك بعد ان تم لنا التكبير على ما يبتغيه اللبنانيون ؟ . .
اننا قد سلخنا عن سوريا سواحلها وسددنا منافذها البحرية وقتلنا مواردها الاقتصادية من حدود العلويين الى اطراف الناقوره

فهل يمكن ان تغفر سوريا هذا الاقتطاع وهل تنام عنا ؟ انها ستبقى الى الابد واقفة لنا بالمرصاد ! !

واذا تعامينا عن هذه الحقيقة واردنا ان نبقى الى ما شاء الله قذى في عيون سوريا يجب ان لا يبرح عن الاذهان ان لبنان الكبير لا يؤلف كتلة واحدة متضامنة بل يوجد بين سكانه من يرون رأي سوريا ويعملون على تقطيع لبنان الكبير وهم يربون على الاربعين في المئة من سكانه وهذا العدد لا يصفو له عيش ولا يطيب له مقام ما لم يلتحق بامه سوريا التي اذا انفصل عنها اللبنانيون بعاطفة دينية فقط فان هؤلاء لا يفصلهم عنها فاصل لا الدين ولا اللغة ، ولا العادات ، ولا التقاليد ، ولا التاريخ ولا المصلحة من جميع وجوهها

لذلك فان لبنان الكبير سواء أفي حدوده ام في استقلاله مفتعل وان دولة يكيد لها فرد من ابنائها لا تأمن شر العاقبة فكيف بها اذا كان نصف ابنائها اعداء للنصف الآخر[1] انكون اكثر حكمة من السيد المسيح الذي بدينه ندين وهو القائل ان كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب وبيت منقسم على بيت يسقط !

---

(١) عداوة لا تزول ما لم تتلاشَ نظرية احد الفريقين المتخاصمين امام نظرية الفريق الاخر

استقلال لبنان الكبير والاعتماد على فرنسا

هذا فيما يتعلق بنا لو اردنا ان نتشبه بالدول الصغرى التي تعيش بسلام بدون ان يكون هناك مصلحة دولية تحميها اما اذا حولنا انظارنا الى مصلحة دولية تكون الى جانبنا فلا نجد واذا وجدت فهي منحصرة بفرنسا فقط وموقوفة على بقاء فرنسا هنا لانها لا تسمح ان يقتتل ابناء بلد واحد تحت علمها وحكمها ولو كان الانكليز مثلاً لسمحوا حتى اذا تمت الغلبة لاحد المتقاتلين انضموا اليه وناصروه شأن السياسة الانكليزية في جزيرة العرب

غير انه يجب ان لا نسخر قوة فرنسا الى ما شاء الله ، واذا نظرنا الى هذه القوة بعين الابتهاج مرة فيجب ان ننظر اليها بعين الحذر مرات لان فرنسا قد لا تتغاضى الى الابد عن اماني الذين لا يرون رأينا في هذا الاستقلال وفي هذه الحدود واذا تغاضت مرة وجردت السيف في سبيلنا فهل تفعل ذلك ثانية ؟

هذا السؤال جدير بكل واحد ان يردده ويقف عنده خاشعاً متأملاً ، ويقول ان فرنسا انما يدفعها الى ذلك امران لا ثالث لهما وهما اما محبتها لنا واما مصلحتها فاذا كان الامر الاول فقد تعدل عن هذا الحب الذي يكلفها الدم المهراق والمال المدرار واذا كان الامر الثاني اي المصلحة فمن يستطيع ان يجزم بدوامها الى جانبنا واذا دامت فمن يستطيع ان يجزم انهـا توازي التضحيات الكبرى التي تتكبدها في دماء واموال ابنائها ؟..

ان للمصلحة حداً تقف عنده وغير منكور ان ثبات فرنسا في سوريا حتى اليوم تجاوز كل مصلحة مادية ام ادبية قد تجنيها من هذه البلاد وان ما انفقته من الاموال وخسرته من الرجال قد لا تعوضه مهما طال وجودها

بين ظهرانينا حتى ولو تحول تربنا الى تبر ، ويقيننا ان فرنسا لم تثبت بوجه الصدمة القوية التي صدمتها في هذه البلاد الا انقاذاً لشرفها العسكري

وهب ان فرنسا ، لحب او لمصلحة ، ارادت ان تؤيد استقلال لبنان الكبير فمن يضمن لنا انها لا تخوض غمار حرب اوروبية كبرى فتفتقر الى آخر رجل من رجالها فتضطر الى سحب جنودها – والحب الحقيقي ان يبدأ الانسان بحب نفسه – عندئذ ماذا يحل بنا وبلبنان الكبير اذا لم نكن من قبل على وفاق ووئام مع جيراننا واخواننا في العصبية والوطن واللغة والمصلحة حتى في بعض العادات والتقاليد ؟ ألا يجمل بنا ان نسلفهم صالح الاعمال بدلاً من نمعن في نكايتهم ونستفز احقادهم ونعمل على ايقاد نيران التعصب السياسي والديني ويا لهما من ويلين يلتهمان الاخضر واليابس !

وعلى كل لو فرضنا ان هذه الاعتبارات واهية وان مصلحة فرنسا عظيمة لا تسمح لها في حال من الاحوال ان تتخلى عن سوريا فماذا يضرنا اذن – بعد ان ثبت لنا ان لبنان الكبير لا يعيش الا بقوة فرنسا – ان نتفق مع سوريا على اتحاد لا مركزي يفسح لنا مجال العمل في سوريا ويرضي من لبنان الكبير ابناؤه الناقمين عليه . اجل ماذا يضيرنا ان نتفق مع سوريا تحت ظلال فرنسا فنعيش جميعنا اخوان صفاء الى ان يقضي الله امراً كان مفعولاً

هذه الكلمة ازفها الى اخواني اللبنانيين ورائدي فيها الاخلاص كل الاخلاص للمصلحة العامة فاذا وافقوني كان خيراً واذا لعنوني فقد يفهمونني لا محالة يوماً ولكنني ارجو ان لا يطول بهم الزمن مخافة ان يندموا ساعة لا ينفع الندم

***

هذه هي المقالات الثلاث التي نشرتها جريدة الاحرار وما كانت تنتشر

بين القراء حتى احدثت ضجة عظمي وحلت في نفوس انصار الوحدة محلاً رفيعاً فمالوا الى اعتناقها وجعلوها ضالتهم المنشودة بعد ان كانوا لا يرضون عن الوحدة التامة بديلا وذلك لامرين اولهما لانها تتضمن بعض التساهل الذي رغبوا في الاعراب عنه تجاه اللبنانيين الخائفين من الانضمام الى الوحدة السورية التامة وثانيهما لانها وُجدت بعد الدرس والتفكير اوفق لمقتضيات الاحوال

غير ان فريقاً كبيراً من اللبنانيين الذين رسخت في اذهانهم فكرة الدولة اللبنانية الكبرى وظنوا انه في الامكان تحقيقها بدون ان يدرسوا ظواهر الامور وكوامنها اعرضوا عن دعوتي غير انني رأيت خدمة للمصلحة العامة ان اواصل البحث في ما تبقى من المسائل التي لم تتيسر لي معالجتها في المقالات المتقدمه ليكون اللبنانيون على بصيرة من مصيرهم



الفصل الرابع

لبنان الكبير والوطن القومي المسيحي

تبين في الفصل السابق ان لبنان الكبير لا يمكنه ان يعيش مستقلا عن الجسم السوري بالمعنى الذي يرمي اليه غلاة اللبنانيين نظرا لاستقلاله المفتعل غير ان فريقا من هؤلاء اللبنانيين يعتقدون ان الاستمرار على مبدأهم قد يأتيهم بالنتيجة المرغوب فيها وان الايام كفيلة بتذليل بعض العقبات التي تعترض اليوم استقلال لبنان الكبير فمن ذلك اقتناعهم بانه في الامكان ان يأتي لبنان الكبير بكتلة مسيحية قوية تضمن له الاكثرية الساحقة وتؤمنه من شر الانقسامات الداخلية . وهذا ما اصطلح بعضهم ان يسموه بالوطن القومي المسيحي .

ان هذه الفكرة وان لم تكن — والحق يقال — فكرة السواد الاعظم من اللبنانيين المسيحيين فقد افترت لها بعض الثغور وعللت النفس بامكان تحقيقها ولما كان فريق كبير من العامة قد اعتنقها اعتباطاً رأيت ان اخصص لها هذا الفصل وابين قدر المستطاع الضلال الذي يجنيه اللبنانيون من ورائها .

ولا بد لنا في هذا المقام من ان ندرس جميع العوامل التي قد تؤدي او لا تؤدي الى ذلك وهذه العوامل منها ما هو داخلي يتعلق باحوالنا الداخلية من اجتماعية وسياسية ومنها ما هو خارجي يتعلق بارادة ورغبات ليست لنا .

عناصر لبنان الكبير الدينية

ان اول مايجب معاجته معرفة عدد العناصر الدينية التي ينقسم اليها سكان لبنان الكبير حتى اذا ماتم لنا ذلك بحثنا في ما اذا كان في استطاعة عنصر ان يتغلب على العنصر الاخر وايهما ينال الاسبقية وفي اي وقت ينالها

فقد ورد في الاحصاء الرسمي الاخير لسكان لبنان الكبير الذي جرى سنة ١٩٢١ ان مجموع العنصر المسيحي يبلغ ٣٢٣٠٥٢ نسمة موزعة على المارونيين وعددهم ١٩٩١٨١ والارثوذكس وعددهم ٨١٤٠٩ والروم الكاثوليك وعددهم ٤٢٤٦٢

وان مجموع العنصر الاسلامي يبلغ ٢٧٣٣٦٦ نسمة موزعة على الاسلام السنيين وعددهم ١٢٤٧٨٦ والاسلام الشيعيين وعددهم ١٠٤٩٤٧ والدروز ٤٣٦٣٣ .

فيكون الفرق بين العنصرين ٣٢٣٠٥٢ — ٢٧٣٣٦٦ = ٤٩٦٨٦ وعليه فان زيادة طفيفة كهذه لاتدعونا الى الاغتباط والاغترار بعددنا ولا سيما متى علمنا ان وزارة تحترم نفسها لاتبقى على الحكم بمثل هذه الاكثرية الزهيدة فكيف بنا ونحن نريد ان نجعل منها دولة تقاوم اماني العنصر المخالف من جهة وتقاوم الاماني السورية من ورائها من جهة ثانية .

اللبنانيون والمهاجرة

بيد انه اذا حولنا انظارنا قليلا الى المهاجرة في هذه السنوات الاخيرة اي منذ الاحصاء المذكور الى يومنا هذا فسرعان ماتتبدد هذه الزيادة الوهمية لانها قد ركبت متن الغربة ليفقد بها اللبنانيون عضلات قوية ونسلاً غزيراً ولا ادل على ذلك من الارقام الآتية كما اخذتها من الاوراق الرسمية التي تتعلق بقسم

المهاجرين اللبنانيين وهم الذين غادروا البلاد برسم المهاجرة لا برسم النزهة او السياحة

ففي سنة ٩٢١ هاجر ٧٠٠٠ لبناني اصلي (اي غير ارمني)

وفي « ١٩٢٢ « ٩٠٠٠ « «

وفي « ١٩٢٣ « ٨٦٠٠ « «

وفي « ١٩٢٤ « ٦٤٠٠ « «

وفي « ١٩٢٥ « ١٢٠٠٠ « «

المجموع ٤٣٠٠٠

ناهيك عن ان هذا العدد دون الحقيقة لان دائرة المهاجرة لم تضبط كما هو مسجل في اوراقها نفوس المهاجرين بالدقة المرغوب فيها قبل السنتين الاخيرتين نظرا لعدم انتظام دائرة المهاجرة قبل هذا التاريخ وقد سألت خبيرا في الدائرة المذكورة عن عدد المهاجرين المسيحيين من مجموع المهاجرين في لبنان الكبير فقال انه لايقل عن ٤٠ الف مهاجر !!!

فاذا كنا نجد لانفسنا بعض الحجة في الزيادة الطفيفة المتقدمة فما هي حجتنا بعد ان تساوينا عددا نحن والناقمون على لبنان الكبير .

ومما يجدر بالذكر في هذا المقام ان اكثر من الفي مسيحي من العدد المذكور ترك لبنان مهاجرا الى البلدان الاسلامية كالعراق وفلسطين ومصر ليعيش مختارا بين الشعوب الاسلامية فيثري وينعم بالا وهذا بقطع النظر عن الذين نزحوا الى الداخلية كحلب ودمشق وغيرهما للغاية نفسها ممن لم تحصهم دائرة المهاجرة لوجودنا تحت انتداب واحد .

فما قول دعاة لبنان الكبير في هذا التناقض بين السياسة المرجوة من وجود لبنان الكبير لجمع شتات المسيحيين الضاربين هنا وهناك في البلدان

الاسلامية بحجة تأمينهم وبين اندفاعهم في تيار معاكس بمل‌ء حريتهم ؟ أليس لان لرجال العمل نظر ولرجال الدولة اللبنانية الذين استعذبوا مراكزهم نظر آخر ؟؟؟

ثم لو ذهبنا الى ان المساواة في العدد بيننا وبين العنصر الاسلامي لا تضعف شيئاً من حجتنا في الاستمساك بلبنان الكبير فهل من يستطيع ان يجزم بدوام هذه المساواة في العدد بيننا وبينهم ونحن تهددنا المهاجرة دونهم صباح ومساء .

واذا قال قائل ان لبنان الكبير سيصرف الناس عن المهاجرة الى الخارج ليتغلغلوا في لبنان الكبير الذي سيعطيهم من الموارد مالم يعطهم اياه لبنان الصغير من قبل نظرا لعهد الازدهار والطمأنينة اللذين يبشرنا بهما لبنان الكبير فاقول ان النتيجة لاتبعث الى الرضى حتى الساعة فضلا عن ان سنة ١٩٢٥ كانت اوفر السنين مهاجرة الى الخارج وعلى كل لو صحت امنية المتفائلين خيرا بلبنان الكبير فماذا يمنع المتعبين من اسلام سوريا والحالة هذه من النزوح اليه ليتمتعوا مثلنا بحالة النعيم العتيدة فيزداد آنئذٍ عددهم بيننا . وهب ان المسلمين لم ينزحوا الينا ألا يرى انصار الكتلة اللبنانية ان اللبنانيين اذا تغلغلوا في لبنان الكبير الشاسع يفقدون تجمعهم في بيئاتهم المعلومة التي حفظتهم مئات السنين ليضعوا بين العناصر الاخرى التي يقول اللبنانيون انهم ماطلبوا لبنان الكبير الا ليأمنوا شرها !

***

سكان لبنان الكبير بعد خمسين سنة

واخيرا لو اعتبرنا ان تيار المهاجرة للخارج وقف وقوفاً نهائياً مع ما في

هذا الاعتبار من دواعي الشطط لان الابن سيلحق بابيه والنسيب بنسيبه والصديق بصديقه وابن القرية بابن قريته ويبقى تيار المهاجرة متدفقاً الى الخارج شأنه في الماضي الذي جعل اللبنانيين في المهجر في نصف قرن اضعاف ماهم عليه في لبنان أجل لو اعتبرنا ان تيار المهاجرة وقف تماماً وبقي للبنان ابناؤه المقيمون فيه فماذا يحدث عندئذ ؟ هل نفوق المسلمين عددا ام نظل على التوالي مساوين لهم ؟

لاهذا ولا ذاك . انما لابد لنا من ان نتناقص رويدا رويدا دونهم ولا تمضي سنوات معدودة حتى يسحقونا بعددهم الضخم . وذلك ان علماء الاجتماع ضربوا موعد خمسين سنة حدا متوسطاً ليتضاعف به عدد شعب من الشعوب اذا سار حسب نواميس الطبيعة ولم تعترضه كوارث وملمات كالحروب والجوع والشقاء. غير انه اذا صحت هذه النظرية عند الشعوب الاوروبية فان شعوبنا الشرقية وعلى الاخص الاسلامية منها تتضاعف قبل هذا الوقت . وما هو الا ان نقارن عوامل الانتاج التناسلي بيننا نحن اللبنانيين المسيحيين وبين العناصر الغير المسيحية في لبنان الكبير حتى يتكشف لنا الفرق العظيم بيننا وبينهم

وهذه العوامل تتأثر بامور متنوعة أخصها ثلاثة وهي :

١ = العادات العصرية

٢ = وقت الزواج

٣ = شريعة الزواج

ولا يخفى ان هذه الامور الثلاثة تختلف نتائجها التناسلية باختلاف تطبيقها عند جماعة وجماعة فاول شيء انا كنا اول العناصر اللبنانية اعتناقاً لمشارب الاوربيين وتقليدا لهم فانتشرت بيننا عاداتهم العصرية التي يشكو علماء الاجتماع من عواقبها الوخيمة على النسل مر الشكوى لانها تصرف المرء

عن العيشة الزوجية المشروعة عند الله والناس الى اللهو وقتل الشباب في امور لاطائل تحتها

ثم انه كان من شأن هذه المعيشة ان تؤثر في وقت الزواج لانهـا تدعو بالمرء الى المماطلة وهـذه المماطلة تعود الى سببين جوهريين وهما اما انهماك الشباب في الملذات واما ضيق ذات يده عن ولوج باب الزيجة ولوجاً يكفل له الرفاهية التي كان يتمتع بها وقت العذوبة لذلك فقد قلَّ من يتزوج منا قبل الخامسة والثلاثين والاربعين حتى ولو تزوج الواحد منا بهذه السن فانه غالباً ماينفر من العائلة الكبيرة فيعمل عـلى تقليل نسله بيده فيرضى من الاولاد بواحد او اثنين بخلاف السواد الاعظم من العناصر الاسلامية التي لم تندفع اندفاعنا في هجر الحقول واعتناق العادات العصرية المتينة فانها غالباً مايتزوج افرادها بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين[1] وهذه السن هي اخصب الاوقات للتناسل فضلا عن ان السواد الاعظم من العناصر الاسلامية لايرى في اكثار النسل الغضاضة التي نراهـا نحن فان الحضريين منهم اذا مالوا الى اللهو وارادوا ان يقللوا نسلهم كي لايعوقهم عن الملذات فان نساءهم لاترى رأيهم فهن كثيرا مايجدن في البنين سلوى لعزلتهن عن معالم الزينة لاتجدهـا نساءنا اللواتي أخذن يماشين الرجال في عاداتهم واخلاقهم ثم ان العاملين من المسلمين على حراثة الحقول وزرعها اوفر بكثير من العنصر الحضري والعنصر المماثل له عندنا. فانهم غالباً مايجدون في الاكثار من البنين ثروة مادية لانجدها نحن لان هؤلاء البنين ينصرفون مع والديهم الى الانتاج في الحقول .

واذا اضفنا الى كل ذلك اختلاف شـريعة الزواج بيننا وبينهم من حيث الطلاق وتعداد الزوجات تبين لنا اننا دونهم انتاجاً بكثير.

---

(١) كما هي الحال في جبل عامل وعكار والبقاع

وعليه فلو جعلنا متوسط انتاج الذكور ثلاثة اولاد لكل واحد منا وهذا على الاكثر كما يتضح لكل واقف على احوالنا الاجتماعية وجعلنا متوسط انتاج الذكور ستة اولاد لكل واحد منهم تبين لنا بالحجة والبرهان اننا اذا اصبحنا بعد خمسين سنة ضعفنا اليوم اي ستمائة الف مسيحي على الاكثر اصبحوا ضعفنا على الاقل اي مليون ومائتي الف مسلم هذا بقطع النظر عما يتزايدون به ٤٠ سنة فسنة اذا سرنا نحن بضعف واحد وساروا هم بضعفين ! ..

فما رأي دعاة لبنان الكبير واين هذه الحقيقة من اغترارهم بهذه الدولة الوهمية في سكانها وفي استقلالها ??? أيجمل بمن كان مثلنا ان يتشبث بدولة لايجني من ورائها غير الخيبة السريعة في خمسين سنة هذا اذا طالت ايامها الى هذا الاجل ام يروق لنا ان نعيش في وسط هذا الجو المتلبد بغيوم الحزازات ولا نعمل منذ الساعة بما يضمن راحتنا وراحة نسلنا واولادنا ??.

ولكن ما العمل والمستفيدون من هذه الدولة راضون والشعب قد تسممت افكاره بدعاية هؤلاء المستفيدين ! !

***

لبنان الكبير ونزوح المسيحيين اليه

اتضح مما تقدم اننا اذا تركنا العنصر المسيحي في لبنان الكبير الى مقدرته الخاصة به لايمكنه في وجه من الوجوه ان يجاري العناصر الاسلامية في تناسلها السريع بقي علينا ان نبحث في العوامل الخارجية التي قد تسد هذا النقص في صفوف المسيحيين وهي تنحصر في حلين لاثالث لهما وهما اما تقليل العنصر الاسلامي بتغريبه عن لبنان الكبير واما تكثير العنصر المسيحي بجلب المسيحيين الخارجين عنه اليه غير ان كلا الامرين يخرجان

عن مقدورنا لانهما يحتاجان الى قوة عظيمة مادية ام ادبية لنضغط بها من جهة على العنصر المرغوب في تعريبه من لبنان ولنضغط بها من جهة ثانية على العنصر المرغوب في جلبه الى لبنان

فنحن لا نملك شيئاً من هذه القوة ولا بد لنا من ان نتلمسها من الخارج وعليه فمن اين تأتينا ؟ فاذا كان من يقول ان الانتداب الفرنسوي يتكفل بتنفيذ هذه المهمة عنا فقد اخطأ فالاً لان فرنسا لن تعلن مثل هذه الحرب الدينية على اهل البلاد وتثير حفيظة المسلمين هنا وهناك ولا سيما ان التجربة التي اجراها الانكليز من قبل في فلسطين لتأمين وطن قومي يهودي اخفقت تمام الاخفاق في الوقت الذي كان يعضدها فيه ماينيف على عشرة ملايين يهودي ملكوا مقدرات العالم وقلبوا كيان الممالك ببدر اموالهم وتوقد دهائهم ٠

فاين نحن منهم واين نحن من المساعدة المالية التي قدمها اليهود لانكلترا ؟٠

وفضلاً عن ذلك ان التجربة التي مارسناها في لبنان الكبير مدة هذه السنوات لا تبعث على الامل بان فرنسا قد تسلك هذا المسلك الغريب مع العناصر الاسلامية لامرين اولهما ان مثل هذا السلوك لا يتفق مع مباديها الحرة ثانيهما انها لن تسيء الى العناصر الاسلامية الخاضعة لسلطتها تلك العناصر التي اخلصت لها في اشد المواقف حراجة ٠ ثم ان الروح الديموقراطية التي ندعيها نحن وحب المساواة الذي غني به العناصر الاسلاميه في لبنان الكبير ترغيباً لها في قبول الجنسية اللبنانية دون الجنسية السورية تحتم علينا ان نسلك تجاه المسلمين مسلكاً يعاكس فكرة تعريب المسلمين ٠

وعلى كل هب اننا لم نتقيد بهذه النظريات وتمت لنا هذه القوة لتنفيذ هذه المهمة ضمن حدود لبنان الكبير فمن اين لنا القوة لتنفيذها خارج هذه

الحدود واذا تمت فهل لنا من المال ما نبتاع به اموال من نرغب في تغريبهم ام نغربهم قوة واقتداراً باتفاق نعقده مع الداخلية لتعوض عليهم باموال المسيحيين الذين يغربون الى لبنان الكبير . فاذا كان ذلك كذلك فهل تقبل بهذا الحل حكومة سوريا وهل يقبل به المسيحيون فيتركون اوطانهم ومراكز اعمالهم انقياداً لفكرة عرجاء اختمرت في بعض الرؤوس اللبنانية بفعل بعض العوامل والمصالح الشخصية ؟

واذا قال قائل اننا نترك للوقت عمل التغريب فيحصل تدريجياً تغريب سلمي متبادل بين العنصرين . فكم هو الوقت الذي يظنه انصار هذه الفكرة لازماً لتحقيقها ؟ .. وهل يظنون هذا الوقت يحل قبل ان تسحقنا الاكثرية الاسلامية . بعددها وبالاحقاد التي نثيرها في صدرها اذا ثابرنا على لجم امانيها ؟ ..

ثم اذا كان الوقت يفعل حقيقة مثل هذا الفعل لمجرد وجود دولة مسيحية فلماذا لم يهاجر مسيحيوا الداخلية الى لبنان الصغير يوم كان يتمتع حقيقة باستقلال داخلي تام بل لماذا رأينا تيار المهاجرة منذ خمسين سنة ونيف ينعكس اذ يترك مسيحيو لبنان جبلهم ليتزحوا الى الولايات العثمانية ولا ادل على ذلك من ان معظم مسيحيي سوريا ذات اصل لبناني في حين اننا لم نر في لبنان منذ ذلك الوقت مسيحيين ذات اصل شامي اوحلبي او حوراني واذا اعترض معترض بان السر يعود الى الحالة الفقرية التي كان فيها لبنان الصغير فنقول له وهذا دليل على ان اتساع الوطن خير من تضييقه ودليل على ان المسلمين الذين نزح اليهم اللبنانيون ليسوا اذا لم نعمل على نكايتهم ولجم امانيهم بالفزعة او « بالبعبع » الذي يهددنا به بعض ذوي الاغراض كما يهددون الصبية الصغار ويعملون على ايقاظ النعرات الدينية من حيث يوهمون العامة الساذجة بانهم يحرصون على تأمينها

وعلى كل اذا كان هؤلاء المسيحيون لم يهاجروا الى لبنان يوم كان الحكم اسلامياً محضاً يزيد في وطأته عامل تركي يعمل على التفرقة صباح مساء فاحرٍ بهم ان لا يهاجروا اليوم لامرين اولهما وجود الانتداب الافرنسي لتأمين الجميع ثانيهما لتيقظ الروح القومية في الصدور تيقظاً محسوساً لتحل محل الروح الطائفية اما ماجرى مؤخرا من وقوع بعض الحوادث المؤلمة على بعض المسيحيين فانها ترجع الى سوء تفاهم يحدث مثله عند كل ثورة في اكثر الشعوب رقياً متى كان العنصر الثائر على الحذر من نيات واستعدادات العنصر الساكن وعندي ان مرجعها يعود الى اختلاف في المبدأ اكثر منها اختلافه في الدين

لبنان الكبير والخطر الارمني

غير انه مهما يكن من فكرة انشاء الوطن القومي المسيحي فقد يهون امرها لو اقتصرت على قبول المسيحيين الضاربين في سوريا وفي البلدان العربية لان جامعة العروبة تجمعنا بهم ولكن ماقول دعاة الوطن القومي المسيحي متى اجتاحته جموع كجموع الارمن فان هؤلاء الاقوام هبطوا بلادنا الوفا الوفاً دفعة واحدة حتى بلغوا زهاء ستين الف ارمني في لبنان الكبير ! ...

فاذا قارنا هذا العدد بعددنا نحن اللبنانيين لتكشف لنا عن نسبة مخيفة تبلغ خمسنا واكثر وان شعباً يكون خمسه اجنبياً عنه لهو شعب ينتحر ادبياً ومادياً ويسير الى الهلاك . ولم يروِ تاريخ الشعوب من حديثة وقديمة هجرة كهذه الهجرة التي تستغرق الجنسية المحلية بدون ان تقوى هذه الجنسية من التغلب على الجنسية الدخيلة مهما اوتيت من المقدرة الادبية والمادية .

فكيف بنا اذن وهؤلاء الارمن يفوقوننا نشاطاً وتصلباً في جنسيتهم تصلباً لم تقو قوة الاتراك على اضعافها وكسر شوكتها فبادوا ولم يتخلوا عن تلك الجنسية

وقد تهون مصيبتنا بهؤلاء الاغراب لو راقبنا هجرتهم الينا فسهرنا على توزيعهم افرادا افرادا ليضيعوا في المجموع اللبناني ، او اتخذنا الاحتياطات التي قد تؤمن مستقبلنا منهم او عهدنا اليهم اعمالا تزيد في مقدرة الانتاج الوطني كالحراثة والزراعة ولكننا لسوء الحظ تركناهم يحلون بيننا كما يحل صاحب الملك بملكه ، فتجمعوا جماعات ، واقاموا بيئات ، وفتحوا المدارس ليدرسوا لغتهم دون لغتنا ، وشيدوا النوادي ليجمعوا شملهم دون شملنا ، وأسسوا الجرائد لينشروا مباديهم دون مبادينا ، وفتحوا المتاجر ليستأثروا بالثروة دوننا ، وأحضروا اكليرسهم ليقيموا طقوسهم دون طقوسنا وقصارى القول فقد احتفظوا بكل ماقد يجعل لهم طائفة غير طوائفنا ، وعادات غير عاداتنا ، وجنسية غير جنسيتنا .

هذا وبينا فلسطين تضج ضجيجاً مسلمها ونصرانيها من هجرة اليهود الذين اغدقوا الدنانير صررا واكياساً ، وبينا ايطاليا تعمل على طلينة بضعة الاف من المان التيرول لتأمن شرهم فاكرهتهم على تغيير اسمائهم وعاداتهم ، وبينا العالم الواسع اوصد ابوابه في وجه التيار الارمني صفقنا لحلول هؤلاء الارمن بكثرتهم العظمية طرباً وقلنا لهم بقرار لا تتجاوز كلماته اصابع اليد عدداً انتم لبنانيون وسوريون بدون ان يستحقوا شيئاً من لبنان او يختلج لهم عرق اذا جرى ذكر سوريا ولبنان

قد يقول قائل لسنا نحن الذي اتينا بهم الينا ولم يكن لنا شأن في حلهم او ترحالهم فنقول هذه هي البلية كل البلية لاننا لو كنا نملك شيئاً من امرهم لهانت المصيبة نوعاً على الرغم من فداحتها ولكن كيف التدبير بهم وكيف النجاة من خطرهم وهم مستقلون عنا في كل شيء

قد لا يفهم هذه الدمعة الدامية على لبنان يقطع نفسه من الجسم السوري

العزيز وما وراء هـذه الجنسية من فوائد ليتحول الى وطن قومي للارمن الكثيرون من اللبنانيين ممن اسكت غرور الدولة اللبنانية كل عاطفـة قومية فيهم لانهم لم يشعروا بعد بوطأة هـذا النفر الغريب او بالاحرى لم يشعر بها بعد من خلبته مظاهر الوظيفة وبهرجة الاستقبالات ممن يظنون انـه يفقدها في سوريا المتحدة ، أجل قد لا يفهمون هذه الدمعة الدامية على مصير لبنان واللبنانيين لان الارمن لم يزاحموهم بعد ولكن قليلاً من الزمن حتى يتبلدوا ويعرفوا مداخل البلاد ومخارجها . فان الارمني منهم لن يبقى عـلى ثوبه البالي الذي تزدريه العين وتعافه النفس ، ولن يبقى ذلك المخلوق الخانـع الذي لا نكاد نحس بوجوده ، او ذلك المتسول الشريد المتسكع على الابواب ، انه لن يبقى كل ذلك بل سيخلع عما قريب ذلك الثوب مستتسراً ويناقشنا الحساب في ما يظنه حقاً له في دور الحكومة من كبيرها وصغيرها ودوائر الاستخدام على اختـلاف فروعها وادارتها فيحتلها دوننا كما احتل اليوم بسنوات قليلة تجارة البلاد ورحّل العدد العظيم من ابنائها وخصوصاً اصحاب التجارات الصغيرة والاعمال اليدوية .

واذا نظرنا اليوم الى نوع مشاغلهم واعمالهم ندرك انهم سيضربونـنـا الضربة القاضية في عالم الاقتصاديات فانهم قد احتلوا من البلاد سواحلها ومن الاعمال تجارتها بينا اللبناني لايزال مقيما في جباله عـلى حراثة الارض . فاذا ادركنا الفرق العظيم بين ماتنتجه الارض وبين ماتعطيه التجـارة من ارباح اتضحت لنا القوة الهائلة التي سيحرزونها علينا واذا جاز لي التعبير اصبحوا الاسياد وامسينا المزارعين نقدم لهم القوة بعرق جبيننا وقوة عضلاتنا !!!

ان مصيبة لبنان كبيرة وشاء ربي ان تقف عند هذا الحد فلا تقع عـلى رؤوس من ضاق بهم التفاهم مع العناصر الوطنية التي تجمعنا بها الذكريات

المشتركة والنعرة القومية اللتين اذا سكتتا حيناً بعامل تفرقة سياسية اوخلفة مبدئية لابد لهما من ان تدنبها في ظروف متعددة عرضت لكل واحد منا مراراً وتعرض صباح كل يوم ومسائه وهل من ينكر ان اهانة الاسم السوري مثلا اوامتداحه بدخلان الى قلوب ابناء هذا الوطن على السواء فتنتفض اشمئزازا او تختلج سرورا قبل ان يبحث الواحد منا عما اذا كان المهان او الممدوح او مسببها مسلما او مسيحياً !!. هل من ينكر ان اختلافاتنا مع العناصر الوطنية هي من قبيل المبدأ القائل « انا على ابن عمي وانا وابن عمي على الغريب » فهل يجمل بنا والحالة هذه ان نثابر على التقاطع لنقيم بين من تجمعنا بهم العاطفة القومية قبل الدين سدا منيعاً وحاجزا قوياً لنستعيض عنهم بقوم ليسوا منا في شيء لنجعل منهم وطناً قومياً مسيحياً . واننا بينا نضن بتساهل مع « ابناء عمنا » يجمع القلوب الى الابد ، وبينا نضن بوظيفة او مكانة نسندها الى طوائفنا الحالية سنضطر الى تخلية هذه الديار ومراكزنا الموروثة لا في سبيل الذين يجمعنا بهم الف جامع وجامع ، وتهزنا واياهم الف ذكرى وذكرى بل في سبيل عصبية غريبة بينما ابناؤنا واكبادنا تسلك مسالك الغربة وتنعى الدار بفقدهم من بناها !!!

ولا ادل على هذه المرارة التي نشعر بها عندئذ من التبرم الذي نشعر به اليوم عند ما نرى الدولة المنتدبة تدس في دوائرنا بعضاً من ابنائها . واذا كنا لانسامح فرنسا في توظيف بعض ابنائها عندنا وقد يكون لها حق الفتح وافضلية الرقي فكيف بنا متى زاحمنا قوم غرباء وآبوا بالمراكز دون ابنائنا واحفادنا هذا ناهيك عن التشاحن والتقاطع الذي لابد له من ان يقع يوماً بيننا وبين هؤلاء الاقوام الاجانب في العصبية واللغة والتقاليد والبقعة !

ان عصبية الدين وحدها لاتكفي لتبرير وجودهم والا فاحر بالمسلم الوطني ان يرضى عن توظيف التركي دونه وقد رأيناه لا يرضى واحر بالمسيحي الافرنجي ان يسلم دوائره للمسيحي الالماني !!! ان العصبية القوميــة فوق العصبية الدينية وهي اوقع في النفوس واعم فالجنسية المصرية تشمل جميــع ابناء مصر من مسلمين ونصارى والعصبية الافرنسية تشمل جميع ابناء فرنسا بين نصرانيهم ويهوديهم والعصبية السورية تشملنا جميعنا على اختلاف اديانا وطوائفنا ولا يمكن للواحد منا كما سبق للقارئ ان لا تهتز اعصابه لمدح او هجو يلحق بهذا الاسم اياً كان السوري مسبب ذلك المدح او الهجو فالشعوب تتعارف بالعصبية القوميــة قبل ان تتعارف بالعصبية الدينية (١) ومتى كان ذلك كذلك فيجب على اصحاب الوجدان منا ان لايقتلوا في النفوس هــذه الفطرة الطبيعية ليستعيضوا عنها بعصبية جديدة متذبذبة ليست بالغربية اذا انتسبنا للغربيين وليست بالشرقية اذا انتسبنا للشرقيين وبذلك نمسي اجانب عند هؤلاء وهؤلاء فلا الاولون ولا الآخرون يتأثرون لمراثنا وضرائنــا ونبقى في كل حال قذى في عيون الشرق (٢)

---

(١) واني على سبيل المثل اذكر القراء بتلك الاهانة التي كان يقولها بعض الجنود الفرنسويين في بدء الاحتلال لكل واحد منا اذ كانوا يقولون عند الغضب (sale Syrien) وقــد شاءت اداب القيادة العليا ان تمنعها تحت طائلة العقاب الشديد لكل جندي يلتفظ بها : فقد كانت تلك الاهانة تحركنا اسلاماً ونصارى ودروزاً على السواء حتى انها اثارت مرة مشاجرة عنيفة في الروستوزان الفرنساوي بين الوطنيين من جهة وبين بعض الجنود والضباط من جهة ثانية. فهذا مثال من العصبية القومية التي نريد ان نقتلها اليوم بدون استثناء.

(٢) يبلغ اللبنانيون المسيحيون في القطر المصري زهاء ٥٠ الفاً وقد حدثني خبير منهم انهم لايجسرون اليوم على التكنّي بالجنسية اللبنانية نظراً للكراهة التي اخذ الشرق يحملها

فالى مثل هذه النتيجة تقودنا سياسة لبنان الكبير هذا فيا لو فاز دعاة لبنان الكبير بسياستهم وسلمت ارواحنا واموالنا من الاحقاد والضغائن التي نثيرها هنا وهناك : في لبنان الكبير نفسه بين ابنائه المغلوبين على امرهم ، وفي سوريا المحدقة بنا والمتحفزة لاخذ حقها منا ، وفي الشرق العربي الواقف لنا بالمرصاد !

ليت شعري ان الشعوب الكبيرة ذات الحول والطول ، ذات الاساطيل والجيوش ، تصانع وتساير في امور كثيرة اما نحن بفضل من استلموا زعامتنا نريد ان نجابه بكل قحة وعدم روية هذا العالم العربي الذي تقف اوروبا عند ذكره خاشعة مترددة . فالى متى نثابر على هذه السياسة الخرقاء والى اين المصير ؟ لا اعلم ! ! !

ففي ذمة زعماء البلاد اليوم كل بلاء يصيب ابناء لبنان المساكين الذين تسممت افكارهم بالدعايات الفاسدة التي تنشر هنا وهناك ! ! ! الا فليرعو من رفعتهم الاقدار في هـــذه الدولة وجعلتهم بمراكزهم الادبية ام المادية اصحاب كلمة نافذة عن هذه السياسة الخرقاء وليدفعوا امتهم الى سيـاسة قوميـــة والى تعزيز العصبية الجنسية بدلا من تعزيز العصبية الدينية التي تقودنا الى اوخم العواقب واقل ما فيها الخطر الارمني

وقد رأيت في هذا المقام ان استشهد بحادث وقفت عليه بنفسي لعل فيه عظة وعبرى والى القراء تفصيل ذلك :

لهذا الاسم بسبب سلوك اللبنانيين المريب نحو اخوانهم في الوطن . وهذه الكراهية من عوامل سياسة لبنان الكبير . ومما هو جدير بالذكر ايضاً ان العراق قررت مقاطعة الاصطياف في لبنان لذات السبب المتقدم وناشدت سائر الشعوب الشرقية المغلوب على امرها ان تحذو حذوها .

هاجر عدد كبير من مسيحي هذه البلاد الى القطر المصري في بدء نهضة مصر الادبية فاكرمت مصر وفادتهم واحلتهم في دورها محلاً رفيعاً غير ان هؤلاء السوريين ادركوا بعد مدة انهم اقرب الى عطف المصري المسلم منهم الى عطف المصري المسيحي « القبطي » وما ذلك الا لانهم وجدوا من المسلم المصري عصبية او بعض عصبية وربما كانت عصبية العروبة ولم يجدوا من القبطي المسيحي اقل عصبية في حين ان الدين واحد للفريقين ! ! !

ان هذه الحقيقة يعرفها كل لبناني عاش في مصر وانني ماذكرتها لانال من الاقباط وكلهم كريم شريف ولكن لابين انه فوق الرابطة الدينية رابطة اقوى واعم وهي العصبية القومية التي نعمل على قتلها في هذا المحيط العربي الواسع لنستعيض عنها بشريدي المسيحية ممن لاتربطنا بهم رابطة (١) وممن لهم ذكريات تختلف عن ذكرياتنا بدون ادنى جامع مشترك بعيداً كان او قريباً ، شجياً كان او مؤلماً ، فاذا انشدنا ناموا واذا تحركنا جمدوا ، واذا تذكرنا الجدود ضاعوا ، واذا تلونا التاريخ لم يفهموا ، واذا توجعنا لم يشعروا ، واذا اعترضتنا تضحية للوطن لم يفهموا معناها ولا روحها ، واذا جرى ذكر اسمنا لم يتأثروا وهل يلامون ؟ .. ام هل نلام نحن اذا لم نطرب لنشيد الصين ونتوجع لاوجاع سيبريا ، ونتحمس لحماسة ايرلندا ؟ ...

ان ننس فلا ننسى انه بيننا ابناء هذا الوطن ذكريات مشتركة تهزنا

---

(١) لا اريد في هذا الكلام مساساً بشخصية الارمن فقد وجدت فيهم من الاخلاق الطيبة ومن العواطف الشريفة ما جعلني اجلهم كشعب ثابت على المبدأ صابر عند التجارب مقدام وقت الاقدام ، فلي بينهم اصدقاء ، ولي على بعضهم عطف ولكنني جئت على ذكرهم بهذا الفصل بصفة كونهم اجانب تغذيرا لابناء وطني من خطرهم من الجهة العصبية وقد يكون في هذا الخطر فخر لهم لانه افضل شهادة لهم بالنشاط وعدم الخمول

واحداً واحداً وتجعل الواحد منا قريباً للاخر مهما امعنا في التقاطع بعضنا بعضاً . فهل تقول لهم تلك الذكريات شيئاً ام تحدثهم بشيء ، هل تحدثهم بشيء من مكارم العرب ووفائهم ، هل يهزهم عصر هارون الرشيد ، هل تطربهم شعراء الجاهلية والاسلام والنصرانية ؟ هل يختلج لهم عرق اذا جرى ذكر بني العباس وبني امية وبني برمك ، وبني غسان ؟

كلا . انهم اجانب لهم ادابهم ولهم ذكرياتهم ولهم رجالهم ولهم أسرهم

فيا ابناء لبنان لنقف عند هذا الحد من التقاطع السائد بيننا ولا نضع بيننا وبين ابناء عصبيتنا حاجزا منيعاً قد يكون القصد منه استقلالنا عن كل ما هو غير مسيحي في هذه البلاد فننسى امجاد عائلات كبرى عرفتها في تاريخ البلاد كارسلان ، وجنبلاط ، وتلحوق ومزهر ، وعماد ، وعبد ملك ، وحماده ، وتقي دين تلك العائلات التي اختلطت دماؤنا بدماء افرادها مرارا وتكرارا في سبيل مبدأ عام قبل ان تفعل بنا السياسة فعلها المشئوم .

ان هؤلاء الاجانب مهما اخلصوا لنا وارتبطوا بنا فلن نركن اليهم اذا نفذتهم الايام ركوننا الى من يشفع بهم مجد قديم ، وحرمة مرعية ، ممن رافقتنا اسماؤهم على مدى التاريخ كبيهم ، ونعمان ، وداعوق ، ومخزومي ، وفاخوري ، وكتي ، وصلح وأحدب وطباره وغيرهم من من جيراننا المباشرين او غيرهم من الداخلية كبكري ، ومؤيد ، وعظم ، وبارودي ، وعابد ، وايوبي ، وجابري ، وبرازي ، وأطرش ، وحلبي ، ودرويش الخ .

وغني عن البيان انه مهما تفنن اصحاب الغايات في ايجاد جنسية خاصة بنا غير الجنسية السوريه فنحن والسوريين سواء ابناء طينة واحدة حتى ان

العروبة الحقة ماوجدت موئلا ازدهرت فيه ازدهارها في لبنــان وما اسماؤنا العربية التي اجتازت مراحل السنين سليمة من كل شائبة اعجمية الا خير دليل على اننا عرب · ففينا ابناء شهاب (١) واللمع (٢) والخازن (٣) وحبيش (٤) والدحداح (٥) والهاشم (٦) والعازار (٧) وزكريا (٨) وتويني (٩) والضاهر (١٠) والظاهر (١١) والغريب (١٢) ومعلوف وبستاني وتيان وثابت وكرم وعقل وابو خاطر ونصار وبليبل، وغيرهم من المنتسبين الى هذه العائــلات ممن استقلوا باسماء جديدة او ضاعت انسابهم

---

(١) عرب اشراف ينتهون الى قريش (٢) عرب فاطميين (٣) عرب غساسنة (٤) عرب ينتسبون الى حبيش بن خالد صحابي شهد الفتح مع رسول الله صلعم (كتاب الاصابة في تمييز الصحابة) (٥) عرب من اليمامة يتحدرون من ابي الدحداح ثابت ابن الدحداح (كتاب الاصابة في تمييز الصحابة وكتاب شرح القاموس المسمى تاج العروس ' قدم جماعة من ابنائه الى دمشق على اثر فتوحات خالد بن الوليد واقاموا في دمشق حيث بقيت اثارهم الى اليوم فبحاري الدحداح ومقام الولي الشيخ عبدالرحمن الدحداح وقد اصابت الدحادحة في دمشق نكبة فتفرقوا وجاء بعضهم الى العاقورة التابعة لدمشق في ذلك الوقت وتنصر وبقيت علاقات افراد هذه العائلة مع دمشق الى خمسمائة سنة ونيف وهي التي كانت تقرضهم على مشيخة العاقورة المتنازع عليها بينهم وبين آل الهاشم في ذلك الوقت (تاريخ العاقورة)

(٦) يتحدرون من هاشم بن عتبة صحابي اسلم يوم الفتح ثم بايع علي في حرب الفرس في القادسية واقاموا في بلاد العجم ثم قدم احدهم الشيخ هاشم العجمي الى العاقورة وتنصر . (٧) غساسنة عرب ابناء عم الخازنيين (٨) زكريا وزحريا صفة من صفات النبي صلعم عرب من حوران قدموا لبنان زهاء خمسمائة سنه ونيف (٩) عرب غساسنة من حوران (١٠) عرب ونالوا الاقطاع في جهة بشراي في لبنان الشمالي (١١) ينتسبون الى الملك الظاهر الذي في مكتبة دمشق (١٢) عرب نصارى وجاء الاسلام وظلوا نصارى ثم قدموا حوران ومن حوران نزح قسم منهم الى الدامور (١٣) لقد ثبتت لي عروبة هذه العائلة وما يتبعها من العائلات المذكورة اعلاه ولكن لسوء الحظ لم اتمكن من الاجتماع بافرادها لاستقي منهم مصادر عائلاتهم.

الفصل الخامس

لبنان الكبير مدعاة للتفرقة الدائمة

يؤلمني وايم الحق ان احمل على لبنان الكبير بوضعيته الحاضرة الحملة الشعواء. غير انه مما يشفع بي اخلاصي للقضية الوطنية وللبنانيين في وقت واحد وقد يظن ان من يطالع هذا العنوان انه مجرد وهم قضت به عقيدتي الخاصة ولكن من درس هذه القضية درسي تبين له بجلاء ان لبنان بوضعيته مجلبة للارتباكات المتواصلة ومدعاة للتفرقة الدائمة وانه لن يصفو لابنائه عيش ولن يستقيم لهم حال ما لم يتصافوا على امر يعرف فيه كل فريق من ابنائه المتخاصمين حده فيقف عنده وان كل تجاوز هذا الحق يجلب الشقاء والدمار. لذلك اقول:[1]

ان الشعوب تتألف أمماً بفعل جاذبية تتجمع ذراتها بحكم ناموس طبيعي من روابط هي: البقعة، واللغة، والتاريخ، والتقاليد، وهذه الروابط هي التي تؤلف العصبية القومية في شعب من الشعوب وتجعله امة مستقلة عما سواها

---

(١) يرى القارئ في هذا الفصل وما تقدمه تكراراً في ايراد الفكرة الواحدة ولم يكن لي بد من هذا التكرار للاقناع. فان الحقائق المسلم بها لا ترسخ في الاذهان الا بالتكرار فكيف بالحقائق الجديدة ولا سيما الحقائق التي يراد احلالها محل الاولى. ان لبنان الكبير بدأ ان يكون وهماً ثم رسخ في الاذهان بمجرد التكرار. واني آسف لكون ضيق المقام لا يسمح لي بزيادة التكرار اكثر من ذلك

وعليه لو اهملنا الرابطة الدينية التي سيجيء الكلام عليها واعتبرنا العصبية القومية التي حددتها الشعوب وفسرتها العلماء : بقعة ، ولغة ، وتاريخ، وتقاليد لوجدنا ان ابناء لبنان الكبير وابناء القطر السوري واحد في العصبية القومية وان كل حيلولة دون تجمع ذرات هذه العصبية مفتعلة لا ترتكز على اساس وان المضي عليها جور واعتساف ضد طلاب تجمع ذرات هذه القومية. فمن ذلك دليل واضح على ان طلاب الوحدة السورية من ابناء لبنان الكبير على حق مشروع يقرهم عليه العلم والقانون وسنة الله في خلقه . وفضلاً عن هذه العصبية القومية والحجة البارزة التي تشفع بطلاب الاتصال بسوريا دون طلاب الانفصال فان اعتبارات أخرى تجعلهم على صواب اكيد وهي فوائد الوطن الاكبر من اجتماعية وتجارية واقتصادية وسياسية . وبديهي انه لا يرضى بالوطن الاصغر من كان كل شيء يدعوه لان يكون ابناً لوطن اكبر

فاذا نظرنا الى جميع هذه الاعتبارات فلا ارى السبب الذي من اجله نؤاخذ طلاب الوحدة من لبنان الكبير في عدم قبولهم هذه الدولة بل لا لا افهم السبب الذي من اجله لا يكون اللبنانيون من طلاب الالتحاق بسوريا ما دامت الروابط القومية واحدة

أما اذا اردنا مراعاة للظروف الخاصة بنا ان نعتبر ان الدين رابطة قومية كسائر الروابط الجنسية لتبين لنا ان لبنان الكبير ينقسم في سكانه من حيث العصبية القومية مع سوريا الى قسمين ، قسم توفرت فيه جميع الشروط العصبية السورية ، وقسم آخر توفرت فيه هذه الشروط ما عدا الدين

فاذا كان للفريق الاخير بسبب اعتباراته الدينية قناعة بالوطن الصغير عن الوطن الكبير فما هي الحجة التي يريد اللبنانيون ان يقنعوا بها نصف

المجموع اللبناني المسلم ليرضى عن هذا الوطن اللبناني ويغض الطرف عن فوائد الوطن الكبير الاقتصادية والتجارية والسياسية والاجتماعية . واذا كان اللبنانيون لاعتبار ديني يريدون انشاء لبنان الكبير فأحرى بمن كان على غير دين اللبنانيين ان لا يرضى عنه ويتخذ من دينه فوق الحجج القومية الناصعة الحقيقة حجة دينية لطلب الالتحاق بسوريا ما دام اللبنانيون قد طلبوا الانفصال بحجة الدين فقط

وهكذا فان لبنان الكبير يثير نعرة دينية ابدية وسيبقى ما دام في قيد الحياة مسرحاً لتنازع نظريتين متناقضتين ولفجع أماني لا يمكن لمن يعتبر نفسه ويقدس قوميتهُ ان يرضى عنها ، فالخطأ في نظرية لبنان الكبير عائد اذن على من اعتصم بهذه البقعة بعامل ديني ضد من لا يفصله فاصل عن سوريا وعن وطن كبير فيه الرخاء . ومن الخطل في الرأي الاعتقاد كما يروج بعض اصحاب الغايات للتغرير بالعامة ان نفور المسلمين عائد الى وظيفة او سيطرة ينشدونها في لبنان الكبير ولا تكون لهم لانَّ الوظيفة اذا سنحت قد ترضي افراداً ولا ترضي المجموع الذي لا يطيب له مقام إلاّ اذا اندغم بذرات الجاذبية التي تدعوه اليها بكل حق وصواب

وقد قال الاب لامانس اليسوعي : في كتابه « سورياً » في الصفحة الرابعة : ان السوريين سيدركون انهم يتمتعون بالجوامع الاربع التي تتألف منها الشعوب في التاريخ وهي جامعة البقعة ، ، واللغة ، والاصل ، والتقاليد ، وسيفهمون بعد اختبارات موجعة ان المحن والويلات توحّد الشعوب بقدر ما توحدها الرفاهة والرخاء » . ثم استطرد في الصفحة الخامسة متكلماً على وحدة السوريين فقال : « ولا يعترض معترض على تعدد الاديان والطوائف في سوريا فان تعددها لم يمحُ وحدة الشعب السوري ولم ينتقص شيئاً من سلامة عنصره

على الرغم من وهم راسخ في العقول يقضي لسوء الحظ على السوريين بأن يخلطوا اعتباطاً بين الدين والقومية فيقال الامة المارونية والامة الملكية (الروم الملكيين) . »

فاذا كان العلامة اليسوعي اعتبر الامة السورية واحدة وأقر بذلك نظرية طلاب الوحدة من جميع وجوهها فأية حجة تبقى في ارغام المسلمين من ابناء لبنان الكبير على تطليق الوطن السوري وهم يبلغون نصفنا عدداً ؟ . ومن من الفريقين هو المتعصب؟ اننا وأيم الحق نؤيد في لبنان الكبير الضلال ضد الحق الصريح . وهب ان مخاوف دينية ولا اقول - تعصباً دينياً - تجعلنا نتغاضى عن الرابطة القومية بيننا وبين سوريا الى حين فلا أرى والحالة هذه مبررا يبرر افتئاتنا على حقوق من لا يرى هذه المخاوف وعليه فان كل مثابرة على الاحتفاظ بلبنان الكبير المستقل عن سوريا تزيدنا كل يوم انقساماً بدون امل في التلاقي وتجعل الحياة مستحيلة مادام نصف مجموعنا يعتبر نفسه مسخرا للنصف الاخر ومغلوبا على امره ان لم يكن في قوميته ففي دينه .

فهل الى مثل هذا ما يرمي غلاة اللبنانيين من انشاء لبنان الكبير وهل يظنون ان حلمهم يتحقق يوماً من الايام ؟ وعندي اذا انصف المنصفون ان يبدأوا بما هو اسلم واحمد ويعملوا بحكمة المسيح فيعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ويعتقوا سبيل من ارغموهم على لبنانيتهم ويعودوا الى موطنهم الذي يتفق مع عددهم فيعيشوا بامان وسلام حتى اذا جاء اليوم الذي يرون فيه ضرورة الاختلاط بالمجموع السوري اختلطوا والا فهم باقون في موئلهم بدون اثارة حزازات وتجع اماني كان لنا فيها حتى اليوم الشر كل الشر

أما اذا اصر اللبنانيون على التكبير فليواصلوا تكبيرهم حتى آخر

الحدود السورية وينتهزوا وجود الانتداب ليعيشوا مع اخوانهم في تفاهم وتسامح بدلا من تعزيز دولة هي كما تقدم عنوان للتعصب الديني الدائم وهذا مما لا يوافقنا ان يدوم اذا كنا نحسب لغدنا كما نحسب ليومنا

ان الشرق قد نهض نهضته القومية فيجب ان لانكون نحن اللبنانيين آخر من فهم هذه الحقيقة سعياً وراء فائدة تعود على نفر قليل ممن يكون له حظ الوظيفة في هذه الدولة . ان هذه الفوائد الشخصية لا توازي الويلات التي حلت بالمجموع اللبناني الذى لم يجن. ولن يجني غير الخراب والدمار واصبحت حالته اشبه شيء برجل كان له حقل يحرثه ويزرعه بعين ساهرة دون خشية حاش وكان الحقل يعطيه من الخيرات مايكفي اوده غير ان نفس ذلك الرجل سولت له ان يستولي على حقول شاسعة بعد ان ايقن بكثرة الربح . غير انه لم يلبث ان قامت الشحناء بينه وبين اصحاب الحقول التي استولى عليها فانصرف عن الحراثة والزراعة الى التطواف حول حقوله الشاسعة ليحرسها ويصونها من هجمات المهاجمين فبارت تلك الحقول وما زال كذلك حتى مات فقرا وحسرة .

شاء ربي ان لايكون نصيب لبنان من تكبيره نصيب ذلك الرجل وشاء ربي ان لاتقع المصيبة على رؤوس المغررين بالشعب اللبناني المسكين!

لقد حان للبنان ان يعرف حده فيقف عنده والا فهو الملوم عما جنت يد ابنائه .

وايجازا لكل ماتقدم اقول بصراحة ان طلاب الوحدة السورية وهم في معظمهم المسلمون قد توفرت فيهم شروط الجاذبية السورية فلا يجوز لنا ان نبقى في سبيلهم حجر عثرة ونكون منهم مكان الظالم من المظلوم

واذا كان اللبنانيون يريدون الانفصال عن سوريا انقيادا لعامل ديني فاحر بالمسلمين ان لا يساهموا في هذه الدولة اللبنانية التي تعاكس امانيهم من الوجهتين القومية والدينية .

ان كنت لا تدري فتلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة اعظم

اجل اذا كان اللبنانيون يدركون هذه الحقائق ويريدون ان يكابروا في سبيل الحق فقد حلت عليهم النقمة واكتسبوا غضب الله والناس لانهم تجاوزوا حقهم ليعتدوا ظلما وعدوانا على حق سواهم بقحة ليس بعدها من قحة ولا سيما ان المسيح الذي بدينه يدين اللبنانيون يوصيهم قائلا : لا تفعلوا بالناس مالا تريدون ان يفعله الناس بكم » واذا كان اللبنانيون لم يدركوا هذه الحقائق وجب عليهم ان يتلمسوا الحق وينزلوا عليه قبل ان تحل المصيبة فيذهب الصالح بجريرة الطالح . ويجب ان لا يخفى عن الاذهان ان اخصامنا اصحاب بأس وشدة وما الثورة الاخيرة التي كاد ماينيف على الخمسين الف جندي كاملي العدة والعدد لا يفوا لاخمادها فكيف بنا نحن اذا سولت انا نفسنا باسم لبنان استعمار من لا يرون رأينا في لبنان

ان اخصامنا اليوم هم اخواننا وما فتئوا يدعوننا الى الاخوة لنتضامن ونتآزر لانهاض الوطن فاذا لبينا الدعوة كنا اخوانا والا فنحن اخصام ولا نلوم غير نفوسنا اذا احببنا ان نسلك تجاه الخطر المهدد لنا مسلك النعامة التي اذا ما شاهدت الصياد سترت عينيها حتى اذا لم تر هي الصياد ظنت انه لا يراها

يا بني لبنان او بالاحرى يا مسيحيي لبنان نحن والسوريين وايم الحق ابناء وطن واحد فلماذا نريد ان نسد كل المنافذ مالهم من ادبية واجتماعية وسياسية ونجعل لنا بتغرير المغررين كيانا خاصا بنا وكيانا معاديا ونتخذ من الاسم

اللبناني شعاراً لقومية جديدة يكون عند هذا المجموع الذي نحن منهُ وفيه بمثابة شعار الالماني من الفرنسوي . ان اسم لبنان وحده لا يكفي لتتخذ منهُ قومية خاصة عن القطر السوري كما ان اسم اية مقاطعة من مقاطعات لبنان لا لا تكفي لان يتخذ منها سكانها قومية خاصة عن المجموع اللبناني . حذار من هذه السياسة الخرقاء . حذار من هذه السياسة التي تريد ان تجعل منا كتلة معادية الشرق والشرقيين على ابواب الشرق وفي بدء نهضة الشرق والشرقيين ان التيار يكتسحنا لا محالة بلا شفقة ولا رحمة ونؤول الى ما آلت اليه كل فئة ضعيفة دفعها الغرور الى انشاء كيان لها خاص ضمن الكيان العام شأن ما جرى في التاريخ وعلى هذا المنوال كان اضمحلال العنصر البروتستانطي في فرنسا والعنصر الارمني في تركيا واننا من وطنيين واخوان للمجموع السوري العظيم نسي هؤلاء الاجانب الذين تقضي السياسة القومية بابادتهم .

قد يقول بعض اللبنانيين بصواب الاتحاد مع سوريا والانضمام اليها ولكنه يرى ان الوقت لم يحن بعد . فاذا كان ذلك كذلك فمتى يرى الوقت ملائماً ونحن في غدنا اكثر عداوة مع السوريين من يومنا اذا سارت الاحوال على ما هي عليه اليوم وذلك لان الناقمين على لبنان الكبير من ابنائه يرون كل يوم حيفاً جديداً عليهم من جراء هذا البتر لان الروح القومية آخذة تتنبه في الصدور يوماً فيوماً . ومتى كان ذلك كذلك فان الانفعالات ستزداد حدة والمرارة تزداد جرحاً وايلاماً للنفوس ويزداد سخط الساخطين على لبنان الكبير فيتحرج موقفه وموقف اللبنانيين وعندئذ يستحيل حلول ذلك اليوم الامين الذي يظن بعض اللبنانيين انهم يتفقون به مع المجموع السوري .

ان هذه الحقائق لا يمكن ان ينكرها كل من كان له المام بنفسية الشعوب

وتواريخ نهضتها . ولقد حان للبنانيين ان يدركوا نفسية من ارادت الطبيعة ان يكونوا رفقاءنا في الوطن . فاما ان يقطع اللبنانيون الامل منذ الساعة من امكان حدوث التفاهم والوفاق معهم فيبحثوا لنفوسهم عن حل غير حل لبنان الكبير الذي لن يقيهم الخطر الذي يخشونه واما ان يعتقدوا بامكان حدوث هذا التفاهم فليكفوا عن القاء الحطب فوق النار . وليعلموا العلم الاكيد ان العنصر الاسلامي في هذه البقعة لا بد له من ان تتجمع ذراته مع ذرات العنصر الذي يدعوه اليه في الداخلية

لعمري ان لبنان الكبير اقام لنا فوق شبح التعصب الديني شبح التعصب القومي ولا ينجو اللبنانيون من الخطر الاول حتى يقعوا في الخطر الثاني وهو اشد وافظع كما يحدث التاريخ بذلك . غير انه لما كانت القومية اللبنانية او ماأريد بها لغايات او مآرب قومية لبنانية من دين وكانت القومية السورية من دين فحالا مايلتبث الامر عند كل خلاف بين سكان المنطقة اللبنانية وسكان سائر المناطق ويحمل على محمل الخلاف الديني او الحرب الدينية فنبقى الى ان يقضي الله امرا كان مفعولا في هذا المغطس الديني الذي حفرته سياسة لبنان الكبير .

فهل يروق لغلاة اللبنانية ان يواصلوا التبشير بسياسة دولة هذه نتائجها لا وأيم الحق فانهم اذا انصفوا واشفقوا على الشعب وعلى نسلهم لاخذوا يبشرون بالروح القومية التي اخذت تظهر عند السوريين بخطوات واسعة واذا كان من يشك في ظهور هذا الشعور عند العامة منهم فلا شك انها ظهرت عند الخاصة وعندئذ تحتم على اللبنانيين ان يصرفوا وقتهم في ان يكونوا عوناً لهذه الخاصة على ترقية المجموع وتخليقه بالاخلاق القومية بدلا من اتباع سياسة تدي. الى الخاصة والى العامة من السوريين على حد سواء

الاضطهادات الدينية

يتخذ بعض اللبنانيين حجة الاضطهادات الدينية التي حلت قديماً ببعض المسيحيين وتواصلت حيناً بعوامل سياسية لامجال لذكرها ليبرروا موقفهم تجاه سوريا وليحكموا على السوريين وبعبارة اوضح – على المسلمين – حكما صارماً يجعلهم في عين الناس فزعة او تنيناً فاغرا فاه ليبتلع كل من كان على غير دينهم

ان هذه الحجة اذا اخذها المرء على علاتها وظواهرها قد تنطلي على العامة وتجعلهم على حذر متواصل من نيات المسلمين ولكن متى ادركت العامة ان الطبيعة البشرية واحدة عند جميع الشعوب من اسلامية ومسيحية وان شعباً لايمكنه ان يأتي غير ما اتى به شعب آخر علمت ان الاضطهادات التي حلت من ابناء دين نحو ابناء دين آخر لم تكن احتكارا خاصاً بابناء محمد بل ان سائر الشعوب واخصها الشعوب المسيحية سبقت سائر الاديان في تعصباتها الدينية وفي الاضطهادات التي كانت تحملها نحو الشعوب المغايرة لدينها او لبعض دينها

وانه كما اتفق لبعض المسيحيين اليوم ان ينزهوا الدين عما اقترفه الجهل باسمه ويسلكوا مسلك التفاهم والتسامح نحو ابناء الاديان الاخرى ويعيش الكاثوليكي الى جنب البروتستانطي او الارثوذكسي او المسلم في صفاء واخاء تحت شعار الوطن الواحد . لابد ان يتفق للمسلم مهما كانت طبيعته ان يعيش مثل هذه العيشة مع مخالف دينه تحت شعار الوطن الواحد .
ومن الافتئات على الحقيقة والتاريخ الاعتقاد أن ما جاء به المسلمون نحو

المسيحيين لم يأت المسيحيون ايام جهلهم باشد منه نحـو مخالفهم في الدين والمعتقد. بل ان المسلمين العرب سلكوا في جميع اعمالهم واضطهاداتهم مسلك رحمة قضت به انفة عربية لم يعرفها الاوروبيون الذين لم يكن لهم ما كان لنا نحن العرب من شهامة وحرمة جوار وقرى ضيف وتأمين خائف . وقد اجمع المؤرخون على ذكر هذه الاريحيات وقال غوستاف لوبون فيلسوف عصره : لم يعرف التاريخ فاتحاً ارحم من العرب. روي ان عرباناً طاردوا ذات يوم ضبعاً ففر من امامهم مثخناً بالجراح الى اول دار فدخلها فادركه المطاردون وطلبوا الدخول الى الدار قائلين لصاحب البيت : انا نريد جارك (١) فقال : اما وقد سميتموه جاري فان دونه هذا الحسام

قلت هب ان هذه الرواية خرافة ففيها دليل ساطع عـلى مافطرت عليه النفس العربية من شهامة واباء. قلما تجد مثيلا لها عند الشعوب الغير العربية . ومما لاريب فيه ان هذه الصفات العربية هي التي جعلت الاضطهادات الدينية التي قام بها العرب ضد مخالفي دينهم اهون بكثير من الاضطهادات التي كانت تقوم بها سائر الشعوب حتى المسيحية منها .

فان المسيحيين مثلا كانوا يتفننون في التعذيب بل اذا ادركنا طريقتهم في الاضطهادات لم نشك بانهـم كانوا يتلذذون بسماع الانين ومرأى العذاب فكانوا يمددون الضحايا على الحديد المحمي ، وكانوا يفككون اعضاءها بآلات تشدها ، وكانوا يقتلونهـا بالجلد ، وكانوا يقذفونها بالنار ، وكانوا يكونها بالاسياخ المحمية الى غير ذلك مما تقشعر له الابدان . وكان كل ذلك يجري على مرأى مئات الضحايا بعضهم لبعض اطفالا ونساء ورجالا تحت

(١) يعنون الضبع الذي استجار به

اقدام الصليب المقدس البري، من كل هذه الفظائع .

ولا يظن القارئ، انني عنيت بهذه الاضطهادات ماجرى في عهد ديوان التفتيش فقط — تلك اللطخة الفظيعة في جبين الدهر والانسانية — بل ان هذه الفظائع استقرت في اوروبا وقتاً طويلا والى ايام اخيرة . ولو اراد الكاتب ان يحيي، على جميع ماجرى من الفظائع في اوروبا لاضطر ان يأتي على تاريخ اوروبا عدة قرون واخصها القرون المعروفة بايام الحروب الدينية بين البروتستانت والكاثوليك والعكس بالعكس وكلاهما مسيحيان. هذا ناهيك عن الاضطهادات التي كانت تحل بالعرب في اسبانيا وباليهود في سائر اوروبا وعلى الاخص في روسيا وبولونيا .

كل ذلك كان يجري باسم المسيح في حين ان المسيح يعلم السلام والمحبة وهو المعلم بان نحب بعضنا بعضاً كما احبنا ، وان لانأخذ احدا بالسيف لئلا نؤخذ به ، وان لانفعل بالغير ما لا نريد ان يفعله الغير بنا .

غير انه اذا سلمنا بان الجهل قد فعل كل ذلك ثم زال اليوم فلماذا لانريد ان نسلم بان العداوة بيننا وبين المسلمين قد تزول يوماً في حين اننا كنا واياهم حتى في اشد الايام تعصباً للدين — البري، من كل تعصب — اسعد حظاً مما كانت عليه الشعوب المسيحية في اوروبا بعضهما مع بعض .

ما كان اغناني عن هذه المقارنة المؤلمة لولا رغبتي في تبديد وهم سطا على عقل العامة من ان اوروبا التي يعيش فيها ابناؤها اليوم تحت لواء التسامح الديني كانت في كل وقت على هذا التسامح ولا حارب فكرة — ما كنت لاحاربها . لولا ان بعض ذوي الغايات استعملوها لمآرب سياسية وهي ان المسيحيين سموحين في دينهم ومعاملاتهم وان المسلمين اهل صلف في دينهم وخطر دائم

يقضي بانشاء لبنان الكبير تأميناً من شرهم

ان المسلمين كانوا في كل وقت اكثر تسامحاً من كل شعب سواهم ولولا الاهواء والغايات التي تلعب فينا كل ملعب لكنا ادركنا هذه الحقيقة التاريخية منذ زمن طويل. وفضلا عن ذلك فان تاريخ البلاد نفسه اصدق برهان على ماتقدم ففي كل مرة تُركنا فيها لنفوسنا كنا نتآخى ونتصافى وطالما اهرقنا دماءنا جنباً الى جنب في سبيل مبدأ عام سواء في ساحات القتال ام في ساحات الشهداء.

ولكن لسوء الحظ ان اليد الاجنبية كانت ترافق كل خطوة من تاريخنا فتعكر علينا كل اتفاق وتفاهم وآخر ماجرى من هذا القبيل على العهد الماضي ان الاتراك الذين بلغتهم نهضة العرب ارادوا ان يلهوا العرب فقاموا يحرضونهم على الفتك بالمسيحيين ولكن العرب لم يلبوا وعاش المسيحي منا الى جنب المسلم بصفاء وامان كما يشهد بذلك كل من عاش ايام الحرب في هذه البلاد

ليت شعري ان كراهية المسلمين المجردة نحو المسيحيين لاتوجد الا في مخيلة من لهم مصلحة في بث هذه الدعوة ان هذه الكراهية الفطرية لو صحت لما ابقى علينا المسلمون منذ زمن طويل في ظروف متعددة سنحت لهم ولم يكن عليهم من رقيب او محاسب. بل انهم قاوموا في سبيل حماية النصارى والتآخي معهم دعايات كانت فصدر اليهم من مصادر عالية لاسباب سياسية تحرضهم على البطش بالنصارى ولا سيما في ايام الحرب الاخيرة لان الاتراك كانوا يرمون بذلك الى صرف العنصر العربي عن النهضة العربية الى التلهي بتذبيح النصارى وجمع كلمة المسلمين العرب حول العلم التركي لخير الاتراك الاعظم.

ان السوريين لم يعرضوا عن هذه الدعايات الشريرة فحسب وعندي عنها معلومات راهنة ولكنهم اظهروا عطفاً نحو المسيحيين يحاولي اليوم ان ارده بآيات الفخر والشكر واسطره في هذا المقام شهادة ناطقة على حلول العاطفة القومية مكان العاطفة الدينية التي كان لليد الاجنبية مصلحة في تحريكها .

وان ننس فلا ننسى انه يدنا عمت المجاعة لبنان وكان اللبنانيون يموتون جوعاً على قارعة الطريق ولم يجد الالوف منهم لقمة واحدة يسدون بها رمقهم في لبنان بأسم المسيح كانوا يجتازون الفيافي بكل امان وسلام الى قرى الداخلية وسهول حوران وجبل الدروز فيجدون ارضاً بدلا من ارض واهلاً بدلا من اهل . وان ماينيف على الخمسين في المائة من احياء لبنان اليوم وحماته من الخطر الاسلامي ماعاشوا الا باريحية المسلمين وفي مقدمتهم الدروز!!!

فماذا حدث اليوم حتى بتنا نخشى الذين انقذونا بالامس وحللنا ربوعهم على الرحب والسعة وقاسمناهم قوتهم بكل امان وسلام وصار بيننا وبينهم « خبز وملح » ? لا اعلم !

ولكن مسكين الشعب ان لبنان الكبير ضروري لتأمين حياته . ان الشعب اللبناني لايمكنه ان يعيش اذا لم يكن له حكامه ونوابه وشيوخه وقضاته .

لبنان الكبير وحدوده التاريخية

بقي لي ان اتناول مسألة لبنان وحدوده الاصلية وهي احدى المسائل التي يغرر بها دعاة لبنان الكبير العامة من اللبنانيين ليقنعوهم بانهم اذا كبروا لبنان لا يرتكبون وزراً او يأتون جوراً نحو من اضاعهم لبنان الكبير فقالوا للعامة ان لبنان اليوم قد رجع الى حدوده الاصلية المعروفة في التاريخ .

اين هي الوثائق الرسمية والخرائط الجغرفية التي استند عليها دعاة لبنان الكبير ؟ فهذا مالا اناقشهم به ولكن هب ان تلك الوثائق قد وجدت وتلك الخرائط قد رسمت فيما مضى فهل هي بالدليل على ان لبنان الكبير غير جزء من سوريا ؟ ان خريطة مقاطعة ورسمها لا يفيدان مطلقاً ان هذه المقاطعة مستقلة عن مجموع . هذا ولا سيما ان جميع المؤرخين والجغرافيين اجمعوا على القول بان هذه المنطقة واحدة وهي سوريا والى القارئ تحديد سوريا ووصفها للعلامة اليسوعي الاب لامنس الذي يحلو لي ان استشهد بكلامه دون سواه قال : « تتمتع سوريا بميزة لا مثيل لها من حيث وحدة ارضها ووضوح حدودها وقلت شعوب العالم التي تتمتع بمثل هذه الافضلية : بحر ، وجبال وصحراء »

غير انه مهما يكن من لبنان ومن حدوده التاريخية فلا بد من ان نتساءل عن الذين وطدوا هذه الحدود لنعرف من من سكانه اليوم احق بتقرير المصير فاذا كان جميع ابناء ذلك الوقت الذين وطدوا تلك الحدود فقد حق لجميع احفاد اليوم ان يقرروا مصيرها فلماذا والحالة هذه لا تقوم باستفتاء عام نزيل به هذه الحزازات من صدور الذين لايرون رأي من يريد ان يجعل لبنان الكبير مستقلا عن الجسم السوري ؟ واذا قلنا هم النصارى الذين وطدوا هذه الحدود وحق لهم دون سواهم تقريرها فقد كذبتنا وقائع الحال وشواهد التاريخ لان لبنان الكبير حتى لبنان الصغير نفسه لم يكن مسيحياً في وقت من الاوقات بقدر ماهو عليه اليوم .

واذا سلمنا ان لبنان الكبير هو من صنع امير عربي مسلم ونعني به الامير فخر الدين فاية حجة تبقى للمسيحيين اذا كان المسلمون واحفاد هؤلاء المسلمين يريدون الالتحاق بسوريا . اما اذا كان المسيحيون يريدون ان يؤمنوا

وطناً قومياً لهم فيجب ان لاييتئسوا اذا نازعهم المسلمون الارض شبراً شبراً ومن يرضى بالترحيل عن ارضه وارض اجداده ! ...

وعلى كل فان الامير فخر الدين لم يقصد من حروبه ضد الدولة العثمانية الاستقلال في لبنان عن سوريا وانشاء قومية لبنانية مستقلة عن الجسم السوري فان مدارك ذلك العصر كانت أقصر من ان تجيء بمثل هذه المبادي.

ثم ان الامير فخر الدين ومن عقبه من الحكام والامراء لم يخرجوا في وقت من الاوقات عن كونهم تبعيين للسلطنة العثمانية التي كانت تقرهم على بعض الامتيازات على مناطق نفوذهم مقابل تقديمهم لها الاموال الاميرية والرجال وقت الحروب.

وما كانت الحروب التي يثيرها هؤلاء الامراء والمشايخ الا من قبيل الثورات بسبب العنفوان الذي كان يشعرون به من جراء ضعف السيادة التركية شأن ماكان يجري في البلدان العربية بين امرائها ومشايخها وشأن ما كان يجري في دول اوروبا على ايام اصحاب الاقطاع من الاشراف الذين مهما بلغوا من الحول والطول كانوا في منطقتهم جزءاً من مجموع وكانوا يرجعون في جميع امورهم الى الملك.

ان لبنان لم يكن يوماً مستقلا عن الجسم السوري ولم يكن يوماً ذا قومية مستقلة عن القومية السورية بل ان جميع ولاته كانوا في المقام الثاني بعد ولاة دمشق وعكا وصيدا حتى ان براءات تعيينهم كانت تأتيهم على يد هؤلاء الولاة وغاية ما استطاع ان يناله لبنان ان الدولة منحته امتيازات خاصة لتأمين ابنائه المسيحيين في جبلهم على اثر حوادث سنة الستين التي اتضح اليوم لكل واقف على مجرى الامور انها كانت ذات صبغة سياسية وبتحريض بعض رجال السياسة من الاتراك وغيرهم من الاجانب

فما بال غلاة اللبنانيين اليوم ينتقلون من طلب التأمين الى التوسع والاستعمار بتأسيس لبنان كبير لايتفق مع عددهم وقوتهم بدون ان يحسبوا لعملهم حساباً او يكترثوا بما يفجعون من من امان ويتركون وراءهم من احفاد من اجل بناية فاسدة في اساسها غائبة في جدرانها لايمكننا ان نصل الى اسماها مهما بذلنا من التضحيات .

فالى مجموع الشعب اللبناني الى العامة الساذجة التي يأثمون باسمها وتعمل الاثم بدون ان تدري اوجه هذا الكتاب واناشدها باسم الصدق والاخلاص ان تعي مافيه وتسلك مسلكاً يضمن لها الرخاء الدائم قدر المستطاع ولا يكونوا في امرهم كما كان ذلك القط الذي أخذ يلحس المبرد والدم يسيل من لسانه وهو يظن ان الدم من المبرد فلم يع على نفسه الا وسال دمه فمات

سوريا ولبنان

وصلت الى هذا الحد من كتابي واذا بي اطالع في جريدة « فتى العرب » الدمشقية التي هي من امهات الجرائد السورية المقالة التالية وقد جاء في هذه المقالة حقائق يجمل بكل واحد منا ان يقف عندها متأملا ولا سيا انها كُتبت بروح الاخلاص والولاء .

هذا وان جريدة فتى العرب وغيرها من الجرائد السورية الناطقة باسم السوريين كالمقتبس وسوريا الجديدة تواصل منذ زمن طويل الدعوة الاخوية بين سوريا ولبنان . قالت فتى العرب بقلم صاحبها معروف افندي الارناؤوط في عددها الصادر في ٣٠ حزيران سنة ١٩٢٦ :

قضيت ايام العيد في زحلة ، وزحلة خلاء من روادها خلاء من اولئك الذين يتجعون ارباضها المخضلة ، في فصل الصيف وانه ليشجيك ، ويشجيك

كثيراً ان ترتادِ هذه الجنة الفينانة ، فترى اليها بمرورة ساهمة ، يغشاها روح من السأم ذبيح

زحلة ، منتجع يستغيثه الشاميون والعراقيون ، ويستملحون ان يفيئوا الى ظلاله الساحرة ، وينابيعه الهادرة ، وقد يكون منشأ الوله بزحلة ، انسجام خواطر سكانها مع خواطر الشآميين والعراقيين وتوافق الغرائز ، والسلائق ، بل قد تجد ذلك الوله كله ، في تشابه الطبيعة ، وفي تماثل صورها ، لان الطبيعة في جنات زحلة همساً هو في حلاوته كهمس هذه الجنات الضحيانة على ضفاف بردى ! . . .

ليس في زحلة مصطاف ، ولا سائح ، وتلك المنازل التي شيدها المهاجر السوري للمصطافين من شعوب الشرق الادنى خرساء عاطلة من مباهج العيش ومسراته

انك لتجد هذه الصور العابسة في جميع ارجاء لبنان القديم ، فزحلة وصوفر وعاليه ، صرن الى طلول صامتة ، بينما السواحل القديمة التي كانت جزءاً من الوطن السوري تكتظ بمرح العيش ولذاته في عرس الجمهورية الناشئة ! . . .

تحدثت الى الكثيرين من رجالات زحلة والبقاع وسائر انحاء لبنان القديم فكنت ارى في احاديثهم حدبا على سوريا وعطفاً على الوحدة ذلك لأن هؤلاء الذين هللوا لبعث لبنان الكبير لم يغنموا شيئاً من تكبيره فهم يعيشون في عزلة عنه وفي عزلة عن سوريا فلا اللبنانيون الناعمون في الجمهورية يفكرون في انعاش زحلة واستنقاذها من عزلتها المضنكة ، ولا اللبنانيون المهاجرون يستطيعون انهاضها من كبوتها وهم جد بعيدون عن احزانها وآلامها

ألم يكن من مصلحة لبنان ان لا يكون في عزلة عن سوريا وهو يعلم

ان عزلته هذه لا تحمل اليه غير الفقر وغير استفحال البؤس بل ألم يكن من مصلحة اللبنانيين انفسهم ان يشتركوا مع السوريين في انهاض هذه البلاد بدل ان يقصرا جهودهم على خلق الوظائف والمراتب والالقاب الضخمة

قلنا للبنانيين ولا نزال نقول لهم ان في سوريا متسعاً لجهودنا وجهودكم معاً ولسنا طلاب سيادة ، ولا رواد فتح ، واذا كنا طلاب سيادة فتلك السيادة التي نتطلبها هي في كسب قلوبكم ، واغتنام عواطفكم ، وذلك الفتح الذي نستحبه لا نريده الا في اشراك حظوظنا في حظوظكم واقداركم

لقد كنا نقول ذلك ، ولكن اقوالنا هذه لم يستروح اليها الناعمون في لبنان الكبير ذلك لان هؤلاء الناعمين تناسوا البنانهم الصغير وتناسوا التفكير باهله فهم ماضون في سبيلهم شقي لبنان ، او خربت سوريا !

ان لبنان في شكله ضئيل الورد ، فقير في ثروتيه المادية والاجتماعية ، فهو لايستطيع ان يعيش مرتكناً على حسنات المهاجرين من ابنائه ، ولا يستطيع ان يخلق امة متحدة من الاستجداء والتجول ولكن لبنان يستطيع ان يكون غزير المورد كثير الانتاج في ثروتيه المادية والاجتماعية اذا هو ربط مقدراته بمقدرات سورية وقد يستطيع ايضا ان يخلق الامة المتحدة اذا هو صادمها في حسها وشعورها وسايرها في امانيها الوطنية

وفي مقدور سورية ان تقدم الى اماكن الاصطياف في لبنان الصغير اكثر من عشرين الف نسمة من الناس ينفقون اكثر من مليوني جنيه ، وهذه حقيقة واضحة لامعة لانظن احداً من اللبنانيين ينكرها لان السوريين يستطيعون بفضل الروابط الادبية التي تربطهم بالعراقيين والمصريين والشعوب

العربية الاخرى ان يجتذبوا الى ربوع لبنان الجميلة حشدا كبيرا من هذه الشعوب التي تشاطرهم العطف على سورية

والخلاصة ينبغي للبنانيين ان يفكروا بمستقبل بلادهم ، فليس شك ان امم الارض لاتبني بناء حياتها الا على الاسس الاقتصادية والا على قاعدة ركينة من اتحاد العواطف والميول ، وفي اتحاد لبنان مع سورية انعاش لحياة لبنان الاقتصادية لااقل ولا اكثر



الفصل السادس

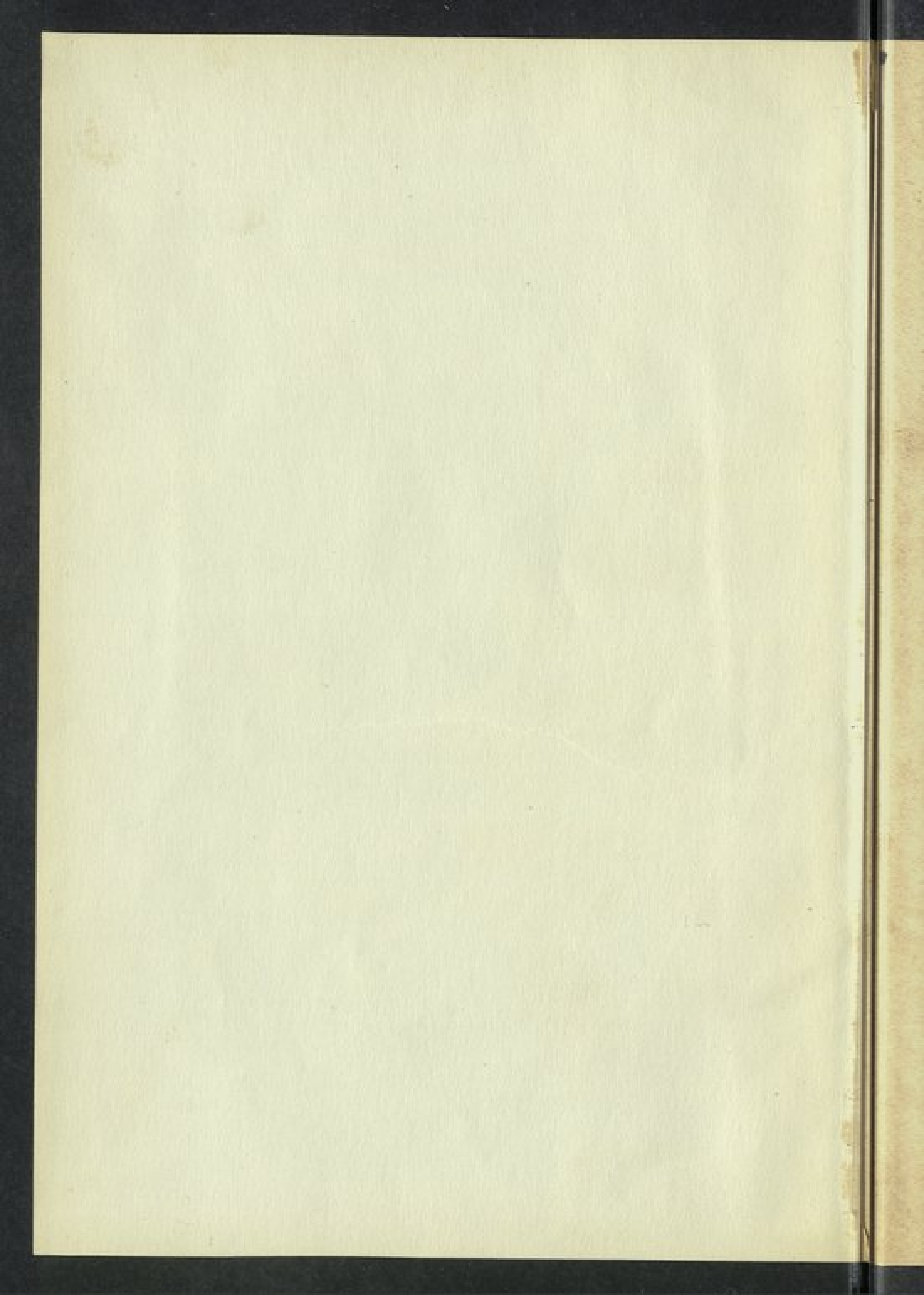
مصلحة فرنسا في الوحدة السورية

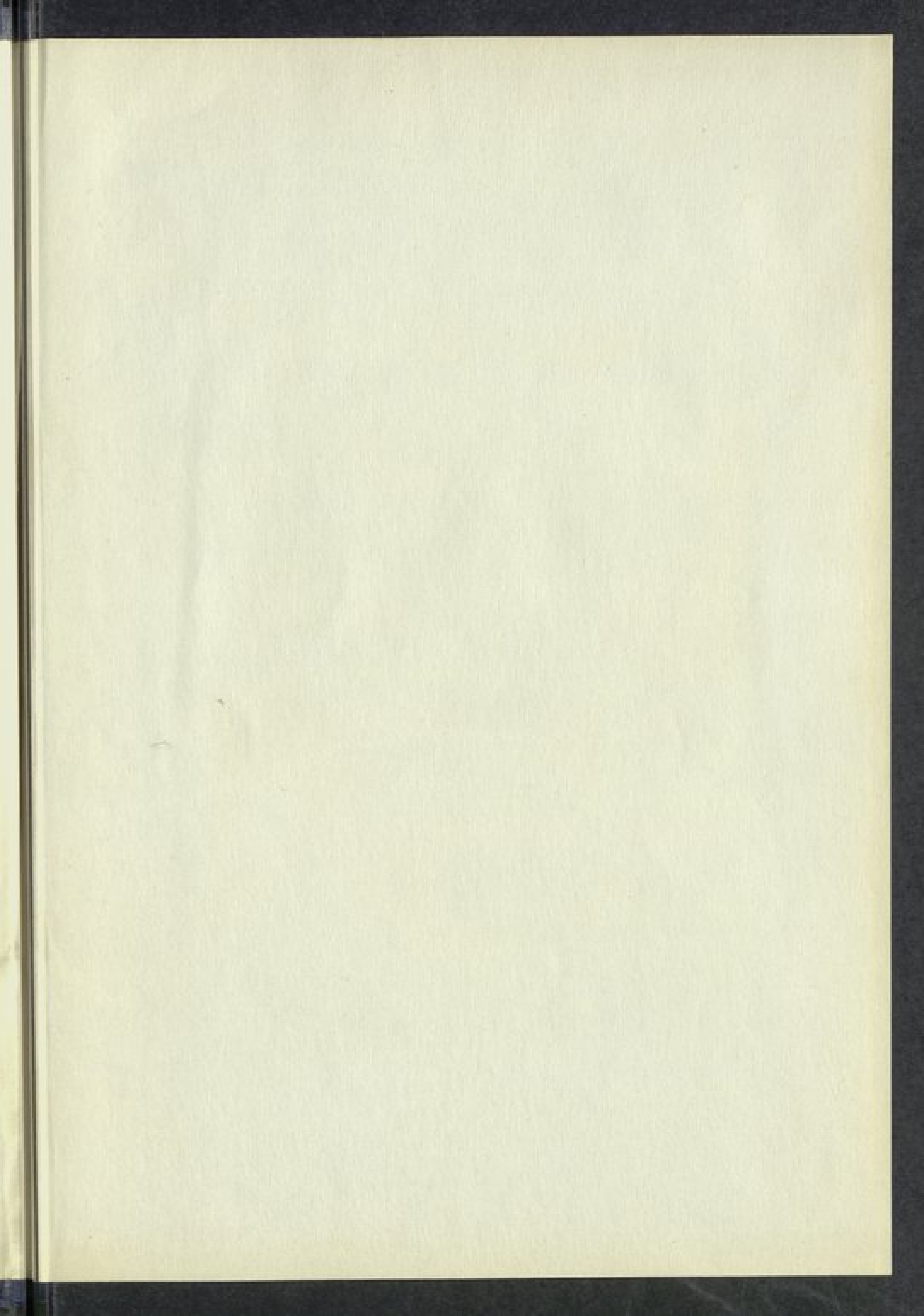
وضعت لهذا الباب فصلا مستفيضاً حاربت فيه الفكرة التي رسخت عند فريق من الفرنسويين من ان تجزئة سوريا من مصلحة الانتداب الفرنسوي وان لبنان الكبير يوءلف ضمانة لفرنسا في الشرق ٠

وحاربت ايضاً الفكرة التي اراد بعض اهل الخبث والمنفعة ان يقنعوا بها الفرنسويين من ان كل مطالب بالوحدة السورية هو من اخصام الانتداب في حين ان المرء يمكنه ان يكون خصماً للانتداب سواء اكان من انصار الوحدة ام من انصار الانفصال وان مسألة الوحدة او الانفصال ليست سوى رأي في طريقة ادارة البلاد لادخل فيه للانتداب ٠

وقد كنت ارغب في ايراد البحث المذكور ضمن هذا الكتاب ولكن بعض الاصدقاء اشاروا عليّ ان اخصص له كتاباً خاصاً فنزلت على مشورتهم ولا سيا ان هذا البحث لا يهم القراء انما يهم اصحاب الحل والربط من الفرنسويين وربما وضعته في اللغة الفرنسوية تعميماً للفائدة

وعليه فانني اكتفي الان بهذا القدر وفقنا الله الى مافيه خير الوطن






AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT